شرح إنجيل يوحنا

الجزء الخامس

للقديس كيرلس الأسكندرى

الإصحاحان التاسع والعاشر

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية
بالقاهرة



نصوص آبائية
- ٦٩ -

أيمن نصحى

المركز الأرثوذكسى
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية ـ ٦٩

شرح إنجيل يوحنا

الجزء الخامس

للقديس كيرلس الأسكندرى

(الإصحاحان التاسع والعاشر)

ترجمة ومقدمة
د. موريس تاضروس و د. نصحى عبد الشهيد

ديسمبر ٢٠٠٣م

تمت ترجمت الإصحاحين عن اليونانية من مجموعة مينى:

Patrologia Migne Greaca Vol. 73: 939-1056; Vol. 74: 1-57

ومن الإنجليزية عن

Commentary on the Gospel according to St. John by St. Cyril Archibishop of Alexandria
Translated from Greek by Rev. Thomas Randell, Oxford 1885.

اسم الكتاب : شرح إنجيل يوحنا . الجزء الخامس . الإصحاحان التاسع والعاشر

اسم المؤلف : القديس كيرلس الأسكندرى

اسما المترجمان : د. موريس تاوضروس ـ د. نصحى عبد الشهيد

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ـ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكى . محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٤١٤٠٢٣

E-mail: santonio@link.net

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة
٢ش المدارس حدائق القبة ٤٨٢٧٠٧٤ ـ ٤٨٦٥٣٧٨

رقم الإيداع : ٢٠٣٢٤ لسنة ٢٠٠٣ م

الترقيم الدولى : I . S .B . N . 977 - 5057 - 41 - 8

أيقونة الغلاف: المسيح الراعى الصالح وباب الخراف رسم الفنان أيمن نصحى



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

صفحة

الإصحاح العاشر

الكتاب السابع

(حسب تقسيم القديس كيرلس)

مقدمة

هذا الجزء من شرح القديس كيرلس الأسكندرى للإنجيل حسب يوحنا هو الجزء الخامس (الإصحاحان التاسع والعاشر). وقد سبق نشر الجزء الأول (الإصحاحان ١و٢) سنة ١٩٨٩، والجزء الثانى (الإصحاحات ٣ـ٥) سنة ١٩٩٥، والجزء الثالث (الإصحاحان (٦و٧) سنة ١٩٩٨، والجزء الرابع (الإصحاح ٨) سنة ٢٠٠٠.

ونقدم هنا عرضًا مختصرًا للتعاليم اللاهوتية والروحية التى يبرزها القديس كيرلس عمود الدين فى شرحه للإصحاحين ٩و١٠ من إنجيل القديس يوحنا البشير.

أولاً: حول لاهوت المسيح وناسوته:

فى تعليقه على قول المخلص: "*لى سلطان أن أضعها، ولى سلطان أن آخذها أيضًا*" (يو١٠:١٨). هو لم يقل "لى سلطان" فقط عندما يقول إنى أضع نفسى (للموت)، بل يقول "لى سلطان" **فيما يخص الموت والقيامة معًا**، لكى يظهر أن عمل القدرة والطاقة ليس خاصًا بآخر غيره منح له هذا السلطان كخادم وعامل عنده، بل لكى يظهر أن قوته فى ممارسة السلطان حتى على رباطات الموت هى ثمرة طبيعته الخاصة، وأنه يستطيع بسهولة أن يعدّل طبائع الأشياء بأية طريقة يريدها. وهذه إحدى خصائص الذى هو بالطبيعة الله. فبقوله "*لى سلطان...*" يبيّن أنه لم يأخذ أمرًا كعبد أو كخادم، كما أنه لم يكن نتيجة اضطرار أو إجبار من آخرين، بل باختياره جاء ليفعل هذا (ص١٤٠).

+ يقول الرب " *الأعمال التى أعملها باسم أبى هى تشهد لى*".
الرب نفسه هنا يقول " إنه يتمم أعماله باسم أبيه"، وهو لا يستمد قوته من فوق بالطريقة التى تحدث مع أى قديس، ولا يقول عن نفسه إنه محتاج إلى قوة، إذ هو الإله من الإله، وهو من نفس الجوهر مع الآب، وهو قوة الآب، ولكنه **إذ هو ينسب قوة أعماله إلى المجد الإلهى**، فإنه يقول إنه يعمل أعماله باسم أبيه، وهو أيضًا يعطى الكرامة للآب، لكى لا يسمح لليهود أن يجدوا حجة للهجوم عليه (ص١٤٨). كما أنه رأى من المناسب أن لا يتجاوز حدود "صورة العبد" رغم أنه هو الله وهو الرب (أى أنه يعبر عن صفته الإنسانية بالتجسد) (ص١٤٨).

+ الذى هو إله بالطبيعة هو واحد فقط. ولئلا يعتبر أحد أن يسوع نفسه هو واحد من هؤلاء الذى قال عنهم الكتاب " *أنا قلت إنكم آلهة*"، فيعتبرونه مكتسيًا بمجد الألوهية بمعنى أن الألوهية ليست تخصه جوهريًا، بل كأنها شئ من الخارج أُضيف إلى ذاته؛ فهو الذى سكب بهاء مجده مجانًا على الآخرين، كيف يكون هو شئ آخر، سوى أنه إله بالطبيعة (ص١٥٣).

+ يقول يوحنا الإنجيلى " *والكلمة كان الله*"، والكلمة أيضًا هو الذى سكب بهاء المجد على الآخرين. فإن كان كلمة الله يقود إلى نعمة فوق بشرية بالروح القدس، ويزين أولئك الذين يكون فيهم بكرامة إلهية، ويقول: لماذا تقولون إنى أجدف حين أدعو نفسى ابن الله، والله؟ رغم أن الأعمال التى قد عملتها من الآب تشهد لى أنى إله بالطبيعة. فإذ قدسنى الآب، أرسلنى إلى العالم لأكون مخلص العالم. وذلك الذى هو

وحده الإله بالطبيعة، هو الذى له الخاصية التى يستطيع بها أن يخلص الناس من الشيطان ومن الخطية ومن الفساد (ص ١٥٤).

+ يقول الرب: " *خرافى... أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد*". الرب يقول إنه يعطى لمن يتبعه ــ كمكافأة ومجازاة ــ حياة أبدية وإعفاء من الموت والفساد ومن العذابات التى ستأتى على المتعدين. وكونه يعطى حياته فهو يبيّن أنه هو الحياة بطبيعته، وأنه يهب هذه الحياة من ذاته لا كمن ينالها من آخر(ص١٤٩).

+ هناك نبوة قديمة جدًا تخبر عن مجئ المسيح هكذا " *حينئذٍ تنفتح عيون العمى*" (إش٣٥:٥). ولم يسبق أن أحدًا أثار إندهشًا بفعله مثل هذه المعجزة؛ والآن قد تحققت هذه النبوة بواسطته، وبواسطته هو وحده. أليس أمرًا أكيدًا أن الذى يتمم ما أخبر به الأنبياء فهذا هو المسيح وهو الذى يحقق بطريقة شاملة وكاملة، الأمور التى بشر بها الأنبياء منذ القديم؟ لأنه إن لم يكن هناك أحد غيره يفتح أعين العميان، فما الذى سوف يقف فى طريق الإيمان إذن؟ وما الذى يبعدنا عن قبوله. وإذ نطرح كل شك جانبًا فإننا لا يمكن أن نفشل فى البلوغ ــ بأسهل وسيلة ــ إلى سر معرفته (ص ٨٨). إن ما أجراه المسيح مع المولود أعمى لم يكن قد فعله أى شخص آخر، وهذا ليس شيئًا آخر سوى إظهار أن المسيح هو يقينًا أعظم وأكثر مجدًا من الجميع حيث إنه أظهر بأفعاله بأنه يملك مثل هذه القوة وهذا السلطان كما لم يسبق أن ملكه أى واحد من القديسين (ص٨٩).

+ كانت عادة المسيح المخلص حينما يأتى إليه بعض أشخاص، أن يجيب ليس على مجرد الكلمات التى عبّروا عنها بأصواتهم، بل أن

يتكلم عن أفكارهم الداخلية أيضًا حيث إنه يرى القلب والكلى لأن كل شئ عريان ومكشوف أمامه (عب٤:٣، أى٣٨:٢س) (ص١٠٥).

+ قال الرب: " *هذه الوصية قبلتها من أبى*" بهذا القول يعنى أنه قَبِلَ ما يبدو صوابًا فى عينى أبيه ــ قَبِله كوصية ــ فإذ هو بالطبيعة الله لا يجعل نفسه بهذا القول أقل من الآب، بل يشير إلى ما يناسب اشتراكه فى طبيعة البشر. وهذه الوصية يذكرها عن نفسه كما جاء فى سفر التثنية (١٨:١٨س) حيث يقول الآب عنه: " *سوف يتكلم بحسب ما أوصيه*" متحدثًا عن المشورة المشتركة للآب والابن معًا، كما قُبِلت كوصية... والذى يقبل وصايا لا يكون لهذا السبب غير مماثل فى الجوهر أو الطبيعة لذلك الذى يعطى الوصايا، كما يحدث أن البشر يعطون وصايا للبشر أمثالهم، **وفى هذا الحالة لا يكون الذين أعطيت لهم الوصايا مختلفين فى الطبيعة ولا هم أقل** (ص١٤١)... وبما أن الوصية لا صلة لها بجوهر الابن فهذا لا يجعلها سببًا للاعتراض على جوهره. **فالابن لا يأخذ كيانه من الآب بقبوله وصية منه، ولا يمكن جعل الوصية هى التى تحدد جوهره.** لذلك فالابن إذ هو مشورة الآب وحكمته، فهو يعرف ما يقرره بطريقة مناسبة. فإذا قَبِل ما قرره (أى الابن) كوصية فلا تتعجب، فهو يستخدم كلامًا بشريًا عاديًا لكى يشير به إلى أشياء تفوق التعبير، ولا يُنطق بها. والأمور التى لا نستطيع نحن أن نعبّر عنها، ينزل هو بها إلى كيفية التعبير السائدة بيننا حتى يمكن أن نفهمها. وعلى ذلك فلا نلوم ما يبدو أنه تناقض فى هذا الأمر، بل نلوم ضعف الكلمات التى لا تستطيع أن تصل إلى مستوى التعبير الكامل والتفسير الدقيق للأمور كما ينبغى (ص١٤٢و١٤٣).

+ يقول الرب " *إن الآب قدسه وأرسله إلى العالم*". وبالتأكيد غن القول بأنه أرسل هو ملائم بنوع خاص لقياس إخلائه لذاته حينما أُرسل من الآب حين صار إنسانًا من امرأة تحت الناموس، رغم كونه هو الرب ومعطى الناموس. وإن كان الابن يُدرك أنه جُعل فى صورة عبد، فعندئذٍ يُقال إنه أُرسل من الآب. ولا يحدث هنا أى ضرر من جهة كونه من نفس الجوهر أيضًا معه ومساوٍ له فى المجد، ولا ينقص عنه من أية ناحية بالمرة. لأن التعبيرات التى نستحدمها بيننا، إن طبقناها على الله فهى لا تسمح بان تُفحص بالمعنى الحرفى للكلمة؛ وأنا أقول إنه ينبغى ان لا نفهمها بالضبط كما تُفهم عادة فيما بيننا، بل بمقدار ما تكون ملائمة لذات الطبيعة الإلهية الفائقة (ص١٥٥).

لأنه مالذى كان يمكن أن يحدث لو لم يمتلك اللسان الكلمات القادرة التى تكفى لتوضيح المجد الإلهى؟ فتبعًا لذلك، من السخافة أن يُقال إن المجد الفائق الذى هو أعلا من الكل ينجرح بسبب ضعف اللسان البشرى وعجزه عن التعبير... لأنه حينما نتعب فى محاولة التعبير بدقة عن مجد الرب، فإننا نكون مثل أولئك الذين يريدون أن يقيسوا السموات بشبر. لذلك حينما يُقال أى شئ عن الله بكلمات تُستعمل عادة عن الناس، فينبغى أن تُفهم بطريقة مناسبة لله (ص١٥٥)... لذلك فالتعبيرات التى تستخدم بطريقة عادية عن أنفسنا، تشير إلى أمور أعلى منا إذا قيلت عن الله.... إيها الإنسان لا تُستثار إلى الغضب عندما يعجز عقلك عن إدراك الأمور الإلهية، بل اعترف بضعف طبيعتك وتذكر ذلك الذى قال: "*لا تبحث عما يتجاوز قدرتك*"

(ابن سيراخ٣: ٢١)... عليك أن تعرف أن الطبيعة الإلهية تسكن فى نور لا يُدنى منه (اتى٦: ١٦)... فلا ينبغى أن نفكر فى أى شئ وضيع حينما يُعبّر عن الأمور التى تخص الله باللغة العادية، بل أن تذكر أن غنى المجد الإلهى يُصَوّر خلال فقر التعبير البشرى (ص١٥٦).

ثانيًا: عمل المسيح الواحد:

يشير القديس كيرلس إلى هؤلاء الذين كانوا يحاولون أن يبعدونا عن حقيقة السر، فيقول إنه يوجد بعض من أولئك الذين يظنون أنفسهم مسيحيين وهم لا يفهمون تدبير الجسد بدقة، وقد تجاسروا أن يفصلوا ذلك الهيكل المأخوذ من امرأة لأجلنا، عن الله الكلمة. وقد قسموا ذلك الذى هو بالحقيقة ابن واحد إلى ابنين، وذلك بسبب أنه صار إنسانًا. لأنهم بغباء شديد ينفرون من الاعتراف بما لم ينفر الابن الوحيد من أن يفعله لأجلنا، كما هو مكتوب "*إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله...*" (فى٢: ٦،٧)، لكى يصير إنسانًا مثلنا ولكن بلا خطية.. وهم يقولون إن الابن الوحيد لله للآب ـــ أى الكلمة المولود من جوهره ـــ هو شخص آخر غير الابن المولود من امرأة. حينما يعلن الكتاب أن الابن والمسيح هما واحد، أفلاّ يكونون مملوئين من كل كفر أولئك الذين يفصلون إلى اثنين ذلك الذى هو ابن واحد حقًا. ولأنه هو الله الكلمة، لذلك نفكر فيه على أنه متميز عن الجسد. ولأن له جسد، لذلك نفكر فيه على أنه متميز عن الكلمة. ولكن لأن الكلمة الذى من الله الآب صار جسدًا، فإن الاثنين لا يظلان متميزين، وذلك بواسطة اتحادهما واتصالهما الذى يفوق التعبير، لأن

الابن هو واحد قبل اتحاده بالجسد كما أنه واحد حينما جاء بالجسد ـــ ونقصد بلفظة الجسد، الإنسان بكليته، ونعنى أنه مكوّن من نفس وجسد (ص٩٦و٩٧).

ثالثا: عن الثالوث القدوس:

+ لا ينبغى أن يشك أحد بالمرة ويظن أن الابن أقل من الاب لأنه هو يبيّن أنه هو صورة الاب غير المشوهة، حافظًا فى ذاته رسم الآب كاملاً وصحيحًا. ونحن نقول إن الآب والابن هما واحد، غير مازجين فرديتهما باستعمال العدد واحد، كما يفعل بعض الذين يقولون إن الآب والابن هما نفس الشخص، بل نؤمن أن الآب هو قائم بذاته، والابن قائم بذاته، موّحدين الاثنين فى نفس الجوهر، وعارفين أيضًا أن لهما قدرة واحدة حتى إن هذه القدرة تُرى بدون اختلاف فى الواحد كما فى الآخر. وبكلمة **واحد** يشير إلى وحدة الجوهر. وبكلمة **نحن** يشير إلى اثنين. ثم بعد ذلك يوحدهما معًا فى لاهوت واحد (ص١٥١).

والرب يقول " *أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى*" (يو ١٠: ٣١). ويعلق على ذلك القديس كيرلس قائلاً: الرب يشير إلى أن الأعمال التى آراها لهم هى من الآب، لا ليُبيّن أن القوة التى ظهرت فى هذه الأعمال هى قوة أخرى غير قوته، بل لكى يُظهر أنها كانت أعمال لاهوتية التى ندركها على أنها واحدة فى الآب والابن والروح القدس. لأن كل ما يفعله الآب فهذا يتممه بالابن فى الروح. وأيضًا ما يعمله الابن فهذا يعمله الآب فى الروح. لهذا أيضًا يقول المسيح: " *لا أعمل من نفسى شيئًا، بل الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال*" (ص١٥٢).

ويشير إلى أن: " الأعمال الإلهية تظهر أننى مساوٍ لله الآب ببرهان الأعمال الإلهية التى أعملها، رغم أنه من جهة الجسد أبدو إننى واحد بينكم مثل إنسان عادى. وهكذا فمن الممكن أن تدركوا أنى " *فى الآب والآب فىّ* " ... لأن وحدة الجوهر تجعل الآب يُرى فى الابن والابن يُرى فى الآب. وحتى فى حالتنا (البشرية) فإن جوهر الوالد يُعرف فى المولود منه، وأيضًا جوهر الطفل يُعرف فى والده، لأن نوع الطبيعة واحد فى الجميع، وجميعهم واحد فى الطبيعة" (ص١٥٨).

+ " والتمييز بين الأجساد لا يمكن الحديث عنه فيما يخص ذاك الذى هو إله بالطبيعة لأن ما هو إلهى لا جسد له، رغم أننا ندرك الثالوث القدوس على أنه قائم فى أقانيم متميزة، لأن الآب هو الآب وليس هو الابن؛ وأيضًا الابن هو الابن وليس هو الآب؛ والروح القدس هو الروح القدس وليس هو الآب أو الابن". ومع ذلك فلا يوجد بينهم اى اختلاف، بل هم فى شركة ووحدة الواحد مع الآخر. وبما أنه ليس هناك سوى ألوهية واحدة فى الآب والابن والروح القدس، لذلك نقول إن الآب يُرى فى الابن، والابن يُرى فى الآب. ومن الضرورى أن نعرف هذه النقطة أيضًا. إن ما يجعل الابن يقول: " أنا فى الآب والآب فىّ، وأيضًا أنا والآب معًا واحد" (يو١٠: ٣٠)، ليس فقط لأن الابن يعرف نفس الأمور كالآب، وليس فقط لأنه يملك إرادة واحدة معه، بل ما يجعله هكذا هو أنه المولود الأصيل لجوهر الآب. فهو يُظهر الآب فى نفسه وهو نفسه يُرى فى الآب. فهو يقول إنه يريد، ويتكلم، ويملك نفس فاعلية الآب، وبسهولة يُنجز ما يريد مثلما يفعل

الآب، وهكذا يُعترف به من كل ناحية أنه من نفس الجوهر مع الآب، وهو ثمرة حقيقة لجوهره؛ ووحدته مع الآب ليست مجرد وحدة نسبية معه تظهر فى تماثل الإرادة والتزامات المحبة، تلك الوحدة النسبية التى نقول إنها تختص بمخلوقاته (ص١٥٨و ١٥٩).

رابعًا: المحبة بين الآب والابن... أزليًا وفى الزمن:

+ يقول الرب " *لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضًا*" (يو ١٠: ١٧). ويعلق على ذلك القديس كيرلس بأن " الابن محبوب من الله الآب ليس فقط عندما جاء ووضع نفسه من أجلنا، بل هو كان دائمًا موضع حب الآب منذ الأزل وفى الزمن. أما لماذا يقول إن الآب يحبه لأنه وضع نفسه، فهو يعلل ذلك بسبب أن خاصية المحبة الموجودة طبيعيًا بين الآب والابن منذ الأزل تظهر بنوع خاص بقوة أوضح عندما تتاح لها فرصة العمل مع الإنسان". ويعطى أمثلة مادية لتوضيح ذلك، مثل مَثل النار والخشب، ومثل معرفة اللغة (انظر ص ١٣٧).

خامسًا: المسيح الراعى الواحد ... خصائص الراعى:

وصف الرب نفسه بأنه الراعى الصالح (يو ١٠: ١٤) ويقول القديس كيرلس إن الرب بهذا القول يُحضر إلى ذاكرتهم الكلمات التى نطق بها بواسطة حزقيال النبى إذ قال " هكذا *قال السيد الرب... وأُقيم عليها (على خرافى) راعيًا واحدًا فيرعاها عبدى داود، هو يرعاها وهو يكون لها راعيًا وأنا الرب أكون لهم إلهًا، وعبدى داود رئيسًا فى وسطهم. أنا الرب تكلمت. وأقطع معهم عهد سلام...*

واجعلهم وما حول أكمتى بركة وأنزل عليهم المطر فى وقته فتكون أمطار بركة وتعطى شجرة الحقل ثمرتها" (حز ٣٤: ٢٣ـ٢٧). ويفسر القديس كيرلس عبارة "*أقيم راعيًا واحدًا عبدى داود*" بأنه هو المسيح الذى هو من نسل داود حسب الجسد، [لأن الله قد قطع بواسطته عهد سلام، وأعنى البشارة الإنجيلية والإلهية التى تقودنا إلى المصالحة مع الله. وأيضًا بواسطته (أى المسيح) يأتى مطر البركة أى باكورة الروح، جاعلاً النفس التى يسكن فيها مثل أرض مثمرة. فالمسيح هو الذى خلص خرافه وهو الذى يعطى البركات من فوق ويديمها، وهكذا يظهر المسيح محقًا عندما يقول عن نفسه "*أنا هو الراعى الصالح*"] (ص١٢٦و١٢٧).

ويتحدث القديس كيرلس فى شرحة لهذه الآية أيضًا عن خصائص الراعى الصالح الذى يعتنى بخرافه حتى أنه يضحى بنفسه لأجلهم حتى الموت، لكى يخلصهم من الشيطان ومن الخطية ومن الموت (ص١٢٠و١٢١).

ويشير القديس كيرلس إلى أن المسيح له المجد مات نيابة عنا ومن أجلنا (ص١٣٣و١٣٤و١٣٥و١٣٦).

سادسًا: القيامة:

تحدث القديس كيرلس في شرحه لقول المسيح "*وأما أنا فقد أتيت لكى تكون لهم حياة وليكون لهم أفضل*" (يو ١٠: ١٠) فيقول إن المسيح الذي هو الباب وحارس الباب والراعى قد جاء ليس فقط ليكون للخراف حياة، بل أيضًا ليكون لهم ما هو أفضل. ويفسر عبارة "*يكون لهم حياة*" بأنها إعادة الذين يؤمنون به إلى الحياة الأبدية. ويشترك

معهم في إعادة الحياة أى قيامة الأجساد، الخطاة أيضًا. ويُضيف أن معنى كلمة "أفضل" يشير إلى وجود رجاء أكيد للذين يؤمنون به بنوالهم بركة كل الصالحات، وأيضًا يمكن أن تشير كلمة أفضل إلى الحياة الحاضرة، أى ما هو أكثر وفرة وأكثر كرامة، والمشاركة الأكثر كمالاً في الروح، وإن كانت مشاركة بطريقة سرية تمامًا. وأيضًا يفرق بين قيامة القديسين وقيامة الخطاة، فيقول إن [القيامة قد مُنحت لكل الطبيعة البشرية بواسطة نعمة قيامة المخلّص.. الذي حطم سلطان الموت وأعطى حياة أبدية. ولكن في ذلك الوقت أى في الدهر الآتى، سيكون هناك اختلاف هام بين الذين يُقامون، إذ أن مصير بعضهم مختلف عن مصير البعض الآخر. فالذين انتقلوا إلى راحتهم وهم في الإيمان بالمسيح، هؤلاء سيحصلون على أكمل نعمة وسوف يتغيرون إلى المجد، وفقًا لوعد المخلّص الأكيد، لأنهم مشتركون في الروح القدس ولهم ملكوت السموات، وهذا ما سوف يمنح فقط لأولئك الذين تبرروا بالإيمان بالمسيح. أما الذين لم يؤمنوا بالابن، فإنهم سيُدانون أيضًا بواسطة صوته، وهم لا يشتركون مع المؤمنين في أى شئ في الدهر الآتى سوى في العودة إلى الحياة، وسيأخذون عقاب عدم إيمانهم لأنهم سينحدرون إلى الهاوية ليُعاقبوا، كما هو مكتوب "*هناك يكون البكاء وصرير الأسنان*"] (ص١١٧و١١٨).

ويعلن القديس كيرلس على قول المسيح "*لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضًا*" فيقول إن [المسيح يعلن أن الآب يحبه ليس فقط لأنه يضع نفسه، بل بسبب أنه يضعها لكى يأخذها أيضًا] (ص١٣٧)، ويفسر عبارة "يأخذها أيضًا" بأنها تعنى: يقيم نفسه من

الموت، فيقول: [لو أن المسيح مات ولم يقم ثانية فما الفائدة، وكيف يكون قد أفاد طبيعتنا لو أنه ظل بيننا ميتًا تحت رباطات الموت وخاضعًا للفساد الناتج عنه كما يحدث للبشر جميعًا. ولكن حيث أنه قد وضع نفسه لكي يأخذها أيضًا، فهو بهذه الطريقة خلّص طبيعتنا بصورة كاملة، إذ أبطل سلطان الموت، وهو سوف يظهرنا كخليقة جديدة (ص١٣٧). فلأن الله الآب هو محبة بحسب لغة يوحنا، وليس فقط صالحًا بل بالحرى هو الصلاح ذاته، فحينما رأى ابنه وقد وضع نفسه لأجلنا بمحبته من نحونا، وبصلاحه الفائق يحفظ سمات طبيعته الخاصة غير متغيرة، لذلك فمن المنطق أن يحبه. وهو لا يفيض بحبه عليه كنوع من المكافأة عن الأمور التي فعلها لأجلنا، بل كما قلنا إذ رأى في ابنه ما هو بحسب جوهره حقًا، فهو ينجذب لمحبته كما لو كان بدوافع طبيعية ضرورية لا تقاوم](ص١٣٨). [وأظن بهذه الكيفية يُقال إن الله الآب يحب ابنه الذي يضع حياته لأجلنا ويأخذها أيضًا. فكون المسيح يختار الألم فهذا عمل محبة، بل وأن يتألم باذلاً نفسه لأجل خلاص البشر، وليس أن يموت فقط بل أن يأخذ أيضًا حياته التي وضعها، لكي يبيد الموت وينزع الحزن الناتج عن التفكير في الفناء. وإذ هو محبوب دائمًا بسبب طبيعته، فيكون مفهومًا أنه محبوب أيضًا بسبب محبته لنا، مسببًا فرحًا لقلب أبيه، حيث إن الآب في هذا الأمر عينه، يستطيع أن يرى صورة طبيعته الخاصة مضيئة بغير عتامة وبغير غش] (ص١٣٨و ١٣٩).

سابعًا: المبادرة ...... من المسيح:

+ قال الإنجيل عن المولود أعمى: " *فوجده وقال له أتؤمن بابن*

الله " (يو ٩:٣٥). ويعلّق القديس كيرلس على ذلك فيقول: [بعد قليل من طَرد الفريسيين للمولود أعمى، بحث عنه المسيح وحينما وجده أدخله إلى الأسرار. إذن فهذا أيضًا سيكون علامة لنا أن الله يحفظ في فكره أولئك الذين يريدون أن يشهدوا عنه، والذين بسبب ثقتهم فيه لا يتجنبون الخطر. فها أنت تسمع كيف يظهر المسيح نفسه وهو يسرع إلى المولود أعمى، لكى يغرس فيه الكمال الأعلى للإيمان. وهو يعرض عليه السؤال لكى يحصل منه على الموافقة على الإيمان به، فإن هذه هى طريقة كشف الإيمان](ص٩٤).

+ قال الرب " *وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى* ". ويعلّق القديس كيرلس على ذلك فيقول: [هو لم يقل " خاصتى تعرفنى وأنا أعرف خاصتى " بل هو يضع نفسه أولاً إذ هو يعرف خرافه الخاصة ثم بعد ذلك يقول إنه سوف يصير معروفًا منهم](ص١٣٢). ويقتبس قول القديس بولس الرسول في أفسس حيث يقول " *ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح* " (أف٢:١٣)، [لأنه بسبب حنانه الذي لا يُستقصى، قدم المسيح نفسه للأمم قبل أن يعرفوه. وبالمثل نقول: لسنا نحن الذين بدأنا مثل هذه العلاقة بل ابن الله الوحيد. لأننا نحن لم نمسك باللاهوت الذي هو فائق على طبيعتنا، بل الذي هو بطبيعته الله هو الذي أمسك بنسل إبراهيم كما يقول بولس (انظر عب٢:١٦)، وصار إنسانًا لكى بكونه مثل اخوته في كل شئ ما عدا الخطيئة يمكن أن يقبل علاقة الصداقة معه ذاك الذي ليس له هذا الإمتياز من ذاته أى الإنسان. لذلك فمن الطبيعى أن يقول: إنه عرفنا أولاً، وبعد ذلك عرفناه نحن](ص١٣٢).

ثامنًا: كنيسة الأمم:

+ يقدم القديس كيرلس شفاء المولود أعمى، على أنه مثال لإيمان الأمم (ص٨١). ويقول أيضًا: أرجو أن تلاحظوا أن المولود أعمى يسبق ويصور مقدمًا نموذج للسجود بالروح الذي كان الأمم مدعوين إليه بإيمانهم بالمسيح (ص٩٨و٩٩). بل إن ربنا يسوع المسيح نفسه يبين العبادة الروحية حينما يقول للسامرية "*يا إمرأة صدقيني أنه تأتى ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم، تسجدون للآب، ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق...*" (انظر يو٤: ٢١ــ٢٤). ويقول أيضًا "*لى خراف أُخرُ ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضًا فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراع واحد*" (يو١٠: ١٦). "ويصرح الرب بأقوال كثيرة ويلقى بإشارات بأنه يربط قطعان الأمم بقطيع إسرائيل، وسوف يمتد بنور مجده إلى كل الأرض ويدعو الأمم في كل الأنحاء إلى معرفة الله. ويستشهد ببعض الآيات من الأنبياء والمزامير عن دعوة الله للأمم وإيمانهم بالله وتسبيحهم لله" (انظر إش٥٥: ٤، مز٤٦: ١س، ٤٦: ٧، ٨س، ٤٩: ١ــ٣) (ص١٣٤، ١٣٥).

تاسعًا: شرح معانى بعض الألفاظ والمصطلحات:

١ ــ **تسمع**: "*خرافى تسمع صوتى*" (يو١٠: ٢٧): "لفظة تسمع تساوى لفظة تطيع. وهكذا فالذين يسمعون الله هم معروفون عنده" (ص١٤٨).

٢ ــ **قدّس**: "*الذي قدسه الآب وأرسله*" (يو١٠: ٣٦):

يقول القديس كيرلس: إن كلمة "قدَّس" تستعمل بمعانى كثيرة على

النحو التالى:

أ ــ أى شئ يكرس لله يُقال إنه "**يُقدّس**" (انظر خر١٣: ٢).

ب ــ كلمة "**يُقدّس**" نستعمل عن ما يُعده الله لتنفيذ خطته (انظر إش١٣: ٣س). ويعلّق القديس كيرلس على هذا المعنى بالقول [إن الذي يشترك في الروح القدس، فإنه يتقدس، لذلك فالابن نفسه يقول إن الآب يُقدسه، إذ أن الآب أعده لأجل إعادة الحياة للعالم. وأكثر من ذلك فقد أُرسل المسيح لكى يذبح من أجل خلاص العالم. إذًا فالأشياء التي تدعى مقدسة هى التي تفرز كتقدمة لله] (ص١٥٧).

ونقول عن المسيح: " إنه قد تقدس حينما صار جسدًا، مثلما نتقدس نحن البشر، لأن جسده تقدس بإتحاده بالكلمة " (ص١٥٧).

٣ ــ **الضمير**: في حديث القديس كيرلس عن الفريسيين الأشرار يقول: [الضمير يفحص دوافعنا باستمرار، فهو لا يجعلنا في راحة، ولا يكف عن إتهامنا بالظلم حتى ولو شعرنا بلذة في عمل ظالم، مدفوعين بذلك بتحيز شديد... والضمير يوبخ الخطة الشرسة التي تثور في داخلهم، وكما لو كان يلجمهم، رغم أنهم لا يريدون أن يعترفوا بتبكيت الضمير] (ص٧٧).

٤ ــ **الحياة الأبدية**: يعرّفها القديس كيرلس [بأنها ليست طول الأيام التي تكون للصالحين والأشرار بعد القيامة، بل أيضًا أن تكون هذه الحياة في غبطة. ويمكن أيضًا أن نفهم بكلمة الحياة الأبدية، البركة السرية التي بواسطتها يغرس المسيح فينا حياته الخاصة من خلال اشتراك المؤمنين في جسده الخاص بحسب المكتوب " مَن يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية " (يو٦: ٥٤)] (ص١٤٩).

٥ ـــ **المعرفة والإيمان والمحبة:**

أ ـــ قال الرب " *وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني، كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب* " (يو١٠: ١٤ـــ١٥). ويعلّق على ذلك القديس كيرلس فيقول: [إنه يقصد بكلمة "المعرفة" ليس مجرد "التعرف" بل بالحرى يشير بها إلى علاقة حميمة إما عن طريق الطبيعة والأصل، أو عن طريق المشاركة بالنعمة والكرامة... لأن المسيح يقول في موضع ما عن الذين لم يكونوا في علاقة حميمه معه ".. *في ذلك اليوم إني لا أعرفكم قط* " (مت٧: ٢٣) ... وبالحرى فإننا نقول إنه يقصد بهذا أنه يتكلم عن الذين لم يدخلوا في علاقة حميمة أو في شركة معه... وحينما يقول "*أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني*"، فهذا معادل لقوله: إني سوف أدخل في علاقة حميمة مع خرافي، وخرافي سوف تأتي إلى علاقة حميمة معي. وهكذا فإني أنا أيضًا في علاقة حميمة مع الآب. لأنه كما أن الله الآب يعرف ابنه الخاص الذي هو ثمرة جوهره بسبب أنه أبوه حقًا، هكذا أيضًا فإن الابن يعرف الآب كإله بالحقيقة، إذ هو مولود منه. وبنفس الطريقة أيضًا نحن الذين نأتي إلى علاقة حميمة معه، فإننا نُدعى ذريته، ويقال عنا إننا أبناء بحسب ما قاله هو " *ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله* " (إش٨: ١٨). ونحن نكون وأيضًا نُدعى من ذرية الابن بالحقيقة، وبواسطته من ذرية الآب، لأن الوحيد الجنس لكونه إله من إله قد صار إنسانًا متخذًا نفس طبيعتنا، وهو منفصل عن كل خطية. وإلاّ كيف نكون نحن "ذرية الله" (أع١٧: ٢٨)، وبأية طريقة نكون شركاء الطبيعة الإلهية] (ص١٢٨، ١٢٩، ١٣٠). [لأنه كما هو في علاقة حميمة مع الآب

والآب في علاقة حميمة معه، هكذا نحن أيضًا بالنسبة له وهو بالنسبة لنا، من حيث أنه قد صار إنسانًا. فإننا بواسطته نتحد بالآب كما عن طريق وسيط، لأن المسيح هو الذي يوّحد اللاهوت الفائق والناسوت كليهما معًا في نفس الشخص، فهو يوّحد نفسه في هاتين الطبيعتين المختلفتين جدًا (مع ملاحظة الفارق في طبيعة العلاقة بين الآب والابن، ونوع العلاقة بيننا وبين المسيح)] (ص١٣٠).

[إن هذه العلاقة الحميمة لا تنفع شيئًا بالنسبة لأولئك المتكبرين في عدم إيمان، بل بالحرى تكون مكافأة متميزة لأولئك الذين يحبونه ... فبينما هو يعطى للذين يؤمنون به وسيلة للقرابة الحقيقية والبركات المترتبة عليها، فإنه من ناحية أخرى يكون للذين لا يؤمنون إزديادًا في الجحود وعدم القداسة] (ص١٣١).

٦ ــ **يد الله**: قال الرب "*لا يستطيع أحد أن يخطف من يد أبى*" (يو ١٠:٣٠). ويعلّق القديس كيرلس على هذه الآية فيقول [من المستحيل أن الذين هم في يد المسيح يخطفون لكى يعاقبوا، وذلك بسبب قدرة المسيح العظيمة، لأن لفظة "اليد" في الكتاب الإلهى تشير إلى القدرة. فليس هناك شك في أن يد المسيح لا تقهر وهى مقتدرة في فعل كل الأشياء. كما يقول: إن الرب نفسه هو يمين الآب الكلية القدرة، إذ أن الآب يتمم بواسطته كل الأشياء، كما أننا نحن نصنع جميع الأشياء التي نحن نعملها بواسطة يدنا. ففي مواضع كثيرة من الكتاب يُسمى المسيح: يد الآب ويمين الآب، وهو ما يعنى القوة. وطاقة الله وقدرته الصانعة لكل شئ، تسمى ببساطة يد] (ص١٥٠).

نتوسل إلى الله أن يبارك هذا العمل بصلوات القديس يوحنا الإنجيلى والقديس كيرلس عمود الدين وجميع الآباء القديسين وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث، ولإلهنا القدوس محب البشر الآب والابن والروح القدس كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد آمين.

٢٣ اكتوبر ٢٠٠٣م
١٢ بابة ١٧٢٠ش
شهادة القديس متى الإنجيلى

المترجمان
د. موريس تاوضروس
ود. نصحى عبد الشهيد

شرح إنجيل يوحنا

الإصحاح التاسع

يو٩:١ " وفيما هو مجتاز رأى إنسانًا أعمى منذ ولادته " .

بينما كان اليهود ثائرين عليه ويريدون أن يرجموه بالحجارة، خرج (يسوع) في الحال من الهيكل مجتازًا في وسطهم وابتعد عن دنس أولئك الذين يطاردونه. وفيما هو مجتاز رأى إنسانًا أعمى منذ ولادته، ووضعه كعلامة واضحة جدًا على رفضه لتصرف اليهود الشرير، وعلى أنه سيتخلى عن جموع مقاومى الله، وسيفتقد الأمم بالحرى وينقل إليهم فضل رحمته. وهو يشبههم بالمولود الأعمى، وذلك بسبب أنهم كانوا في ضلال وأنهم منذ بداية حياتهم كانوا محرومين من معرفة الله الحقيقية، ولم يكن عندهم نور من الله، أى الاستنارة التى بواسطة الروح (القدس).

ولذلك، فمن المناسب أن نلاحظ مرة أخرى إلى ماذا يشير افتقاد المسيح للرجل الأعمى بينما كان مجتازًا ويبدو لى، أن مجيئه الأول لم يكن للأمم بل لليهود فقط (كما قال هو نفسه في موضع ما: "*أنا لم أرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة*" مت١٥: ٢٤) ومع ذلك فإن إعادة البصر أُعطيت للأمم إذ نقل المسيح رحمته إليهم، وذلك بسبب عصيان إسرائيل. وهذا ما كان قد سبق وأُنبأ به بواسطة موسى: "*سوف أغيرهم بما ليس أمة، بأمة غبية أغيظهم*" (تث٣٢: ٢١). لأن الأمة الغبية هى "*التى تعبد المخلوق دون الخالق*" (انظر رو١: ٢٥)، ومثل الوحوش غير العاقلة تعيش على الجهل التام وتعطى اهتمامها

فقط لأمور الأرض. ولكن حيث إن إسرائيل الذى كان حكيمًا بسبب الناموس وفطينًا بأنبيائه، أثار غضب الله، فإن الله بدوره أغاظهم، وأولئك الذين لم يكونوا حكماء في السابق (أى الأمم)، جُعِلوا في المكان الخاص لهؤلاء (أى اليهود). لأنه بالإيمان صار لهم المسيح حكمة وقداسة وفداءً كما هو مكتوب (انظر ١كو١:٣٠) أى صار نورًا وأيضًا استعادة للبصر.

الكتاب السادس

الفصل الأول

[إن الآلام الجسدية لا تنتج عن خطايا قبل الولادة، كما إن الله لا يعاقب الذين لم يخطئوا، بسبب خطايا والديهم، بل يحكم بالعدل على الجميع]

يو٩:٢، ٣ " فسأله تلاميذه قائلين، يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلِدَ أعمى. أجاب يسوع، لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه ".

إذ كان التلاميذ راغبين (ولسبب حسن) أن يتم شرح السر أو بالحرى لكى ينالوا إرشادًا إلهيًا، فإن التلاميذ الحكماء جدًا تحمسوا أن يطلبوا تعليمًا في الموضوع وكانوا يسألون لأجل المنفعة. وبهذه الطريقة فإنهم هيئوا فائدة ليس لأنفسهم فقط بل لنا أيضًا، لأننا انتفعنا كثيرًا جدًا من الشرح الحقيقي لهذه الأمور من الكُلّى العلم، وأيضًا بتحذيرنا من دنس التعاليم البغيضة العقيمة. هذه التعاليم الخاطئة لم تكن موجودة بين اليهود فقط بل يدافع عنها بعض أولئك الذين انخدعوا في فهمهم للكتب المقدسة، ونقلوا أفكارهم إلى المسيحيين. مثل هؤلاء الأشخاص يجاهرون بمغالطاتهم منغمسين في أوهامهم الخاصة، ولا يخشون أن يخلطوا الضلال اليوناني بتعاليم الكنيسة.

لأن اليهود حينما كانوا يعانون البؤس كانوا يتذمرون جدًا وكأنهم كانوا يعانون فقط بسبب عدم تقوى أجدادهم، أو كما لو أن الله كان يضع عليهم خطايا آبائهم بطريقة غير معقولة. وتذمروا من هذا كأنه عقاب غير عادل بالمرة، بل أنهم رددوا المثل القائل: " *الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست*" (خر١٨:٢). وهؤلاء أيضًا إذ قد

أُصيبوا بجهل مماثل وقريب من أولئك الذين ذكرناهم حالاً، فإنهم يقولون بحماس إن نفوس البشر كانت توجد قبل خلقة أجسادها، وإن هذه النفوس لأنها اتجهت بإرادتها للخطية حتى قبل وجود أجسادها، لذلك ارتبطت النفوس والأجساد معًا، وكنوع من التأديب صارت النفوس في الجسد. ولكن بعبارة واحدة قصيرة فإن المسيح أبطل حماقات هذين الفريقين، وأكد تمامًا أن لا المولود أعمى ولا أبواه أخطأوا، وهو يدحض تعاليم اليهود بقوله إن الرجل لم يولد أعمى بسبب أية خطية سواء منه أو من أجداده ولا حتى من أبيه أو أمه، وهو يطرح بعيدًا أيضًا حماقة الآخرين السخيفة الذين يقولون إن النفوس تخطئ قبل وجودها في الجسد.

ومن الطبيعى أن يقول أحدهم: كيف يقول المسيح إن، لا المولود أعمى ولا أبواه أخطأوا؟ ومع ذلك لا نستطيع أن نسلّم بأنهم كانوا أنقياء تمامًا من الخطية، لأنهم بقدر ما إنهم بشر فإنى افترض أنه من المحتمل ــ أو بالحرى من الضرورى نتيجة لذلك ــ أنهم يسقطون في خطايا. فاخبرنى إذن، ما هو الوقت الذي يقصد المسيح أن يحدده بالنسبة لقوله: لا هذا أخطأ ولا أبواه؟ هو بالتأكيد يتحدث عن الوقت السابق للولادة، فحينما لم يكن لهم وجود فإنهم لم يخطئوا.

وأيضًا ــ بخصوص هذه الأمور ــ كم هو تافه حقًا وبعيد عن الصواب أن يفكر أحد أن النفوس أخطأت قبل وجود أجسادها ولهذا صارت في أجساد وأُرسلت إلى هذا العالم، فإننا قد ناقشنا هذا الأمر باستفاضة في بداية هذا الإنجيل عند تفسيرنا وتعليقنا على الكلمات: "*كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان يأتى إلى العالم*" (يو ١: ٩)،

وسيكون أمر لا لزوم أن نناقش هذا الموضوع ثانية. ولكن من الضرورى أن نوضح، من أين سقط اليهود في هذا الرأى وهذا الافتراض، وأيضًا أن نبين بوضوح أنهم بسبب عدم قدرتهم على فهم الكلمة الإلهية فإنهم أخطأوا فهم المعنى الصحيح.

ذات مرة سكن إسرائيل في الخيام في البرية. ودعا الله معلم أقداسه موسى على جبل سيناء. ولكن حينما امتدت فترة إقامته هناك مع الله إلى أربعين يومًا، وحينما بدا لزعماء الشعب أنه متباطئ، هؤلاء الذين قاموا ضد هارون إذ كان وحده، ورجعوا إلى الوراء إلى عبادات مصر الكاذبة وصرخوا قائلين: " *قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه*" (خر٣٢:١). وما حدث بعد ذلك يبدو لى أنه من الضرورى أن نذكره باختصار:

"*فقد صنعوا عجلاً*" كما هو مكتوب (أع٧:٤١)، وهذا ما جعل الله يغضب عليهم بحق. وعندئذٍ هددهم الله أن يبيد كل الجماعة مرة واحدة. فسقط موسى أمامه وطلب من أجل الصفح عنهم، وتضرع كثيرًا (انظر خر٣٣:١٢، ١٣). وخالق الكل غفر لهم ووعد أن لا يعاقب الشعب بأكثر من أنه لم يستمر في الصعود معهم إلى أرض الموعد، بل سوف يرسل معهم بدلاً من ذلك ملاكه الخاص كقائدلهم. وحزن موسى جدًا بسبب ذلك. ولأن الله لم يكن يريد أن يصعد مع الشعب فقد فهم (موسى) من هذا أن الغضب لم يكن قد انتهى بعد، ولذلك صلى بإلحاح شديد أن يسير الله معهم عالمًا أن مجرد قيادة ملاك للشعب لن تكون كافية بالنسبة لبعض الإسرائيليين، وربما كان

يخاف أيضًا من ضعف الشعب، ولذلك كان يطلب الملائكة القديسين الذين يبغضون الشر. وتضرع موسى إلى الإله الصالح محب البشر الملك الوحيد والرب الذى على الكل أن يقبل بالحرى أن يكون حاضرًا مع أولئك المعرّضين للعثرة. لأنه عرف أن الله سوف يغفر ليس مرة واحدة بل مرات عديدة وأنه سوف يهب رحمة لأولئك الذين أساءوا التصرف. وقَبِلَ الله هذه (الصلاة). وبعد ذلك طلب موسى علامة من الله، بل طلب أن يراه كتأكيد تام على أنه قد غفر لهم كلية، لأنه قال: " *إن وجدت نعمة في عينيك فاظهر نفسك لى لكى أراك بوضوح، لكيما أجد نعمة في عينيك ولكى أعرف أن هذه الأمة العظيمة هي شعبك*" (خر٣٣:١٣س). وهذا الطلب منحه الله إياه بقدر ما كان ممكنًا، مؤكدًا لخادمه الخاص ــ بكل طريقة ــ أنه قد غفر للشعب خطيته، وأنه سيصعد معه إلى أرض الموعد. وبعد ذلك، وكأنه يضع اللمسة الأخيرة ــ التى كانت ناقصة ــ للمواعيد، فإنه يأمر موسى أن ينحت لوحين آخرين ــ لأن اللوحين السابقين كما نعلم قد تحطما إلى أجزاء ــ وذلك لكى يكتب الناموس عليهما مرة أخرى، للشعب . مقدمًا بهذا دليلاً أيضًا، كما هو مكتوب: "*نزل الرب في السحاب، ووقف عنده هناك، ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب أمام وجهه ونادى: الرب إله رحيم ورؤوف، طويل الأناة، وكثير الرحمة، وحق، وحافظ البر (العدل)، ويصنع رحمة إلى الألوف، غافر الآثام والمعاصى والخطايا ولكنه لن يبرئ المذنب، مفتقدًا إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع*" (خر٣٤:٥ــ٧).

ولكن الآن انتبهوا باهتمام لأنى سأعالج مرة أخرى المسألة المُشار

إليها في البداية. الله يعلن نفسه لكي يبين لطفه ومحبته الفائقة للبشر، كما يليق بالله. فنحن نؤكد أن هذه كانت كلمات الله وليست كلمات أي متحدث آخر؛ وليست (كما يظن البعض) كلمات موسى الحكيم جدًا، الذي قدم صلوات تمجيد نيابة عن الشعب. لأنه لا يوجد شخص آخر سوى موسى المبارك نفسه يشهد لنا أن رب الكلّ نفسه هو الذى تكلم بهذه الكلمات عن نفسه. لأنه في سفر العدد حينما أخطأ الإسرائيليون بسبب جبنهم غير اللائق إذ أن البعض الذين أرسلهم موسى بأمر الله لتجسس الأرض تكلموا بالشر على أرض الموعد، فحينما رجعوا من أرض الغرباء إلى شعبهم مرة أخرى نطقوا بكلمات مُرّة (بخصوص تلك الأرض)، وأكدوا أن أهل الأرض متوحشّون حتى أن الأرض تأكل سكانها، وبذلك أثاروا في أذهان سامعيهم كراهية شديدة للأرض حتى أنهم (الشعب) انفجروا في البكاء وأرادوا أن يرجعوا مرة أخرى إلى مصر بكل آلامها، لأنهم قالوا بعضهم لبعض: " *لنقِم رؤساء ونرجع إلى مصر*" (عد١٤:٤).

وحينما هدد الله بأن يهلكهم، صلى موسى مرة ثانية وذكّر الله أيضًا بالوعد الذى كان قد أعطاه، وصرخ قائلاً: " *والآن لتعظم قدرتك أيها الرب بحسب ما قد تكلمت قائلاً: الرب طويل الأناة وكثير الرحمة وحق، غافر الآثام والمعاصي والخطايا ولكن لن يبرئ المذنب، مفتقدًا خطايا الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع. اغفر لهذا الشعب خطيته حسب عظيم رحمتك، كما قد كنت منعمًا عليهم من مصر إلى الآن*" (عد١٤: ١٧ ــ ١٩س). وهكذا يبدو أن ذلك الذى هو إله فوق الكلّ، يخص نفسه بمحبة البشر ويصبر صبرًا

عظيمًا على الشر... ويكون من المناسب أن نكشف السبب الذى جعل اليهود، ينخدعون فيفترضون أن إلهنا الصالح يفكر في الأذى ويغضب بشدة.

ومن جهتى، فإنى لا أظن أنهم كانوا قادرين على إدراك الأقوال الإلهية بأية حال أو أن يثيروا اعتراضًا عليها كما لو كانت هذه الأقوال لا تعبر عن ما هو سامى جدًا، أو أنها قد ابتعدت بعيدًا عن قانون الاعتدال.

ومن الجهة الأخرى، أظن أنهم يستغرقون في جهلهم الخاص بهذا الأمر بافتراضهم أن خطايا الآباء تأتى حقًا على الأبناء، وأن الغضب الإلهي يمتد حتى يمكن أن يصل إلى الجيل الثالث والرابع، ليعاقب الأبرياء بعقوبات جرائم الآخرين. فلو كانوا حكماء، ألاّ يكون لائقًا بهم بالأحرى أن يعتنقوا الرأى الذي يقول: إن الله الذى هو مصدر البر ومصدر قوانيننا الأخلاقية لا يمكن أن يفعل شيئًا مخجلاً كهذا؛ لأنه، حتى الناس يعاقبون العصاة بحسب القوانين ولكنهم لا يوقعّون هذه العقوبات على أولادهم إلاّ إن كان هؤلاء الأولاد مشتركين مع آبائهم في الأفعال الشريرة. فذلك الذي وصف لنا قوانين كل عدل، كيف يمكن أن يُقال عنه أنه يوقّع عقوبات تعتبر عندنا مُدانة بشدة (لأنها غير عادلة).

ثم نضيف أيضًا ما يلى: إن الله أعطى بفم موسى نواميس لا تُحصى. وفي كثير من الحالات، فإن الذين كانوا يعيشون بعبادات رديئة أمر أن يُعاقبوا، ولكن لا يوجد فيها أية وصية أن الأولاد يتحملون عقوبات خطايا والديهم، لأن العقوبة هى للذين يخطئون. وقد

أوصى أنه من المناسب أن يُعاقب فقط أولئك الذين يتعدون الناموس، لذلك فإنه من عدم التقوى أن نفكر كما يفكر اليهود. ولكن يليق بالإنسان الحكيم بالضرورة أن يبحث عن القصد الإلهي وأن يلاحظ ما هى الأمور الملائمة للطبيعة، ملكة كل الأشياء. لذلك فدعنا نتمسك بالفكر الصائب بأن إله الكل في رحمته الطبيعية يريدنا أن نقدّر محبته النقية للبشر. ولهذه الغاية فهو يعلن أن: " *الرب طويل الأناة وكثير الرحمة ،حق، غافر المعاصى والخطايا*" (عد١٤:١٨). ولذلك فهو لا يريد أن يُعرف بأنه يفكر بالشر وأنه يمد غضبه حتى يشمل الجيل الرابع. لأنه كيف يكون هو طويل وكثير الرحمة، أو كيف يغفر المعاصى والخطايا إن كان لا يستطيع أن يجعل العقوبة محصورة فقط في الشخص الذى اخطأ بل يمدها إلى ما بعد الجيل الثالث، فيكون بذلك كنوع من الرعد الذي يصعق حتى البرئ. إذن، فإنه مما لا يُصدق بالمرة ومن الحماقة التامة أن نفترض أن الله، مع محبته للبشر ولطفه، يخص نفسه بالغضب المستمر وغير المعقول.

وأولئك الذين يؤيدون الرأى اليهودى ولا يعترفون بأن الله يعرف الوقت المناسب لكل عمل يضيفون شيئًا آخر (إذ يقولون) إنه إن كان الله يعِد بطول الأناة وينحّي غضبه جانبًا بسهولة، فلماذا نراه قد أضاف قائلاً: " *مفتقدًا إثم الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع*" (عد١٤:١٨). وهو بلا شك قد فعل هذا ليس لسبب آخر سوى لأن يخيف أولئك الذين يتوقعون منه غفران الخطايا لكي يبين أن ما يأملون فيه لا ينبغى أن يتحقق، حيث إنهم تسببوا في حزنه ولذلك فهو يفكر عليهم بالشر وهو متمسك بالغضب.

ولكن، اخبرني ما الذي يخبرنا به موسى نفسه معلم الأقداس؟ ألاّ يبدو مثل من يعمل أمرًا مضادًا لكل عقل، فهو حينما أخطأ إسرائيل وكان معرضًا للعقاب، فإنه تقدم ليصلي من أجلهم. وبينما هو يسأل لأجل غفران ذنبهم ولأجل إظهار محبة الله للبشر، فإنه يكون من غير اللائق أن يقول لله: [أنت لك طبيعة تجعلك تضع خطايا الآباء على أبناء الأبناء]، فيكون في هذه كمن يثير الغضب بدلاً من أن يطلب الرحمة، ومثل واحد يطلب الإيذاء بدلاً من أن يطلب طول الأناة. ولكن في رأيي، فإنه بهذه الكلمة يبدو كمن يعيّر الله ويذكّره بالكلمات نفسها التي نطقها هو بنفسه، حينما أعلن جهارًا صلاحه الطبيعي. لأنه كيف سيُعرف تمامًا أنه طويل الأناة وكثير الرحمة وأنه بالطبيعة هو ذلك الذى يرفع الخطايا والمعاصي، وذلك في نفس المعاملات التي يبدو فيها قاسيًا.

ثم بعد ذلك، من المناسب أن نوضح ما هى الطريقة التي يمكن أن نفهم بها الكلمات التي نطقها الله فهمًا سليمًا، إذ يقول الكتاب: " *الرب طويل الأناة وكثير الرحمة وغافر المعاصي والخطايا*" (خر٣٤: ٦، ٧). وبعد ذلك مباشرة نقرأ كما لو كان في صيغة استفهام: " *أفلا يبرئ المذنب إبراء*" (خر٣٤: ٧). وهكذا، سوف تفهم شيئًا كهذا كما يلي (وكأنه يقول): هل الإله الطويل الأناة والكثير الرحمة والذى يغفر المعاصي والخطايا، ألاّ يبرئ المذنب إبراء؟ هذا ما لا يمكن أن يُشك فيه: أى إنه سوف يظهره تمامًا.

لأنه كيف يكون هو طويل الأناة وكثير الرحمة ويغفر الخطايا إن لم يبرئ المذنب؟ وعند هذه الكلمات فإنه يقدم إيضاحًا لطول أناته

وصبره الطبيعي، حتى أنه يفتقد خطايا الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع: وهو لا يعاقب الابن عوضًا عن الأب؛ لا تفكروا هكذا: كما أنه لا يضع ثقل خطايا الآباء على أبنائهم: بل يعني شيئًا مثلما يلي: (سنفترض) أن هناك إنسانًا متعديًا على الناموس وذهنه مملوء بكل شر، ولو أنه عومل بحسب أسلوب حياته هذا لاستحق أن يُعاقب بدون إمهال، ومع ذلك فإن الله في احتماله عامله بصبر ولم يأتِ عليه بالغضب الذي كان يستحقه.. ثم وُلِدَ لهذا الإنسان ابن يزيد عن أبيه في أعماله الشريرة ويفوق أباه في الشر: وأيضًا فإن الله أظهر طول أناة نحو هذا الإنسان. ولكن ولد له ابن ثالث ومن الثالث رابع ليس أقل من سابقيه في الشر، بل يعمل أعمالاً شريرة مساوية لهم. حينئذٍ يسكب الله عليهم الغضب، الذي كان يستحقه الجنس كله منذ البداية، بعد أن كان قد احتملهم كثيرًا، وحتى أكثر مما يجب. فتأجيل الانتقام حتى الجيل الرابع، كيف لا يكون بحق هو نوع من اللطف الإلهي؟. أما كونه لا يريد أن يعاقب لا الابن بدل الأب ولا الأب بدل الابن، فهذا من السهل أن نتعلمه من تلك الكلمات التي قالها الله بوضوح لليهود بصوت حزقيال النبي حينما تذمروا على نفس الأمر، وقالوا: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست. (فيقول الكتاب): " *وكان إليّ كلام الرب قائلاً، ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست. حيّ أنا يقول السيد الرب: لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل. ها كل النفوس هي لي؛ نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت... الابن لا يحمل من*

إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. وكل واحد يموت في شره الذي أخطأ به" (حز ١٨: ١ــ٤، ٢٠، ٢٤س).

ولكنى أظن أنه ليس هناك أحد تصل به الغباوة لدرجة أنه يفكر أن الله لم يشرّع في البداية بالطريقة الأحسن، ولكنه فيما بعد غيّر خططه وحوّل أفكاره إلى ما أحسن. وكأنه مثل واحد منا ــ بصعوبة وبعد تفكير عميق أمكنه أن يحسن تشريعه إلى ما هو مناسب أكثر. وفي مثل هذه الحالة فإننا إن مدحنا الشرائع السابقة فإننا بذلك نوجه اللوم للشرائع اللاحقة، وإن عبّرنا عن رأى بأن الشرائع اللاحقة أكثر تفوقًا فإننا بذلك سوف نقلل من قيمة الشرائع السابقة. وفي هذه الحالة سيكون الله متناقضًا مع نفسه ويكون قد عجز عن الوصول إلى المستوى الكامل كما يحدث معنا نحن، وذلك بأن يشرّع بشئ في وقت معين وبشئ مختلف في وقت آخر. ولكنى أظن أن كل واحد سيقول إن الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تكون معرّضة لمثل هذه التناقضات في أى أمر، ولا يمكن أن تنقص عن كمالها المُطلق.

وإذن، فإن الله يذكر الكلمات المقتبسة أعلاه: مفتقدًا " *إثم الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع*"، كدليل على جوده الذي لا يُقارن. وكون أن الإله الرحيم لا يريد أن يعاقب الخطاة في الحال بل بالحرى يفعل ذلك وهو غير راغب، ويؤجل العقوبات لفترات طويلة، فهذا يمكنك أن تدركه من كلماته ذاتها: " *امتلأت من غضبى ولكنى حجزته ولم أبدهم تمامًا*" (إر٦: ١١س). وفي موضع آخر يقول: "*لأن إثم الأموريين إلى الآن ليس كاملاً*" (تك١٥: ١٦س). فأنت ترى أنه في الواقع مملوءًا بالغضب لأن البعض كانوا يأتون أفعالاً مستحقة

لملء الغضب ولكنه كإله احتمل بصبر وأجّل أن يضع نهاية لأولئك الذين أغضبوه.

ولكن لكي نعرض كما لو كان في لوحة، البرهان على ما قد قلناه، نوضح من الأحداث الفعلية أنه يوجد في هذا النص نموذج لمحبة الله للبشر، ولهذا الغرض فإني سأقدم شيئًا ورد في الكتب المقدسة وسأحاول من الكتاب الإلهي نفسه أن أُبيّن أن افتقاد خطايا الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع لم يتم بطريقة ظالمة بل بعدل، وبكيفية يستحقها الأشخاص أنفسهم الذين عوقبوا. وسوف ألخص القصة لأنها طويلة كثيرًا.

ففي سفر الملوك الأول[1]، نقرأ أن أخاب ملك على إسرائيل بعد ملوك آخرين، وإذ كان مشتعلاً بشهوة ظالمة جدًا لاغتصاب كرم إنسان آخر، فإنه ذبح صاحب الكرم الذي هو نابوت. ورغم أنه لم يأمر هو نفسه بهذا العمل إلاّ أنه لم يغضب من شر زوجته. وطبعًا، فإن الله غضب من هذا الأمر وكلم آخاب بواسطة إيليا النبي قائلاً: " *هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضًا، لذلك قال الرب، في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت، تلحس الكلاب دمك أنت أيضًا؛ والزواني سوف يغتسلن في دمك*" (١مل٢١: ١٩، ٢٠س). وبعدها مباشرة أيضًا " *هكذا قال الرب، هأنذا أجلب عليك شرًا، وأحرق نسلك وأقطع لآخاب كل بائل بحائط وكل محجوز ومُطلق في إسرائيل. وأجعل بيتك كبيت يربعام ابن نباط وكبيت بعشا ابن أخيا لأجل*

[1] في الترجمة السبعينية اليونانية هو سفر الملوك الثالث حيث يُعتبر صموئيل الأول والثاني هما ملوك أول وثاني.

الإغاظة التى أغظتنى ولجعلك إسرائيل يخطئ. وتكلم الرب عن إيزابل أيضًا قائلاً: إن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل ومن مات لأخاب في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء" (١مل٢١: ٢١ــ٢٤س). وحينما هدد رب الكلّ أن يصنع هذه الأمور، فإن أُخاب شق ثيابه ودخل بيته وكما هو مكتوب أنه: "*نُخِسَ في قلبه وانفجر يبكى بمرارة ومَنطق حقويه بمسوح*" (١مل٢١:٢٧). وأشفق الله عليه وهو في هذه الحالة وبدأ يخفف من غضبه وكأنه لجم غضبه قائلاً للنبى: " *هل رأيت كيف نُخِسَ أخاب في قلبه (انسحق) أمامى. فلن اجلب الشر في أيامه بل في أيام ابنه سأجلب الشر*". لذلك، ألاّ يكون من الصواب أن نسأل متى تمت هذه الأمور؟ كان ابن أخاب اسمه أخزيا، الذي يقول عنه الكتاب إنه فعل الشر في عينى الرب وسار في طريق أبيه أخاب وفي طريق إيزابل أمه (١مل٢٢:٥١، ٥٢). ثم يقول الكتاب إن ابن أخزيا هو يورام الذي كُتِبَ عنه أنه سار في خطايا بيت يربعام (٢مل٣:٣). وبعد يورام ملك أخزيا الثالث الذى تقول عنه القصة أنه فعل أيضًا الشر أمام الرب مثل بيت أخاب. وحينما جاء الوقت لمعاقبة بيت أخاب الذى لم يكف عن الشر أمام الرب حتى الجيل الرابع، فقد مُسح ملكًا على إسرائيل بعد ذلك ياهوشافاط ابن نمشى الذي ذبح أخزيا وأيضًا إيزابل، وذبح أيضًا سبعين ابنًا آخرين لأخاب وكأنه ينفذ ذروة الغضب الإلهى، حتى أنه حصل على نعمة وكرامة بسبب ذلك. إذ قال الله له: " *من أجل أنك قد أحسنت بعمل ما هو مستقيم في عيني وحسب كل ما بقلبى فعلت ببيت أخاب، فأبناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على كرسيك*" (٢مل

١٠: ٣٠س).

لذلك، ها أنت ترى أنه على مضض عاقب نسل الأشرار في الجيل الرابع، بينما من يقدم إكرامًا له، فإنه يبسط رحمته عليه إلى الجيل الرابع. لذلك أيها اليهودى، كف عن توجيه الإتهام لعدل الله، وكنوع من المديح، نحن نقبل بالتأكيد ذلك القول: مفتقدًا خطايا الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.

يو٩:٣" ولكن لتظهر اعمال الله فيه ".

النص الذى أمامنا الآن يصعب شرحه، ويمكن أن يسبب ارتباكًا كثيرًا، ولذلك يكون من عدم الحكمة أن نعبر عليه في صمت، ونتركه جانبًا بسبب صعوبته الكبيرة. ولكن بعد أن دحضنا التعاليم اليهودية، لئلا يطلع شئ آخر قريب إليها، مثل "*أصل مرارة ويصنع انزعاجًا*" كما يقول بولس (عب١٢: ١٥) ـــ (لأنه ربما يظن البعض أن أجساد الناس تُصاب بالآلام لكى تظهر أعمال الله فيها)؛ فأنا من جهتى أرى أنه من المفيد أن أضيف كلمات قليلة بخصوص هذا، لكى نمنع حدوث أى أذى من هذا المصدر ولا نترك أى ثغرة تنفذ منها الأفكار الخادعة. وقد سبق أن أوضحنا أن الله لا يجلب خطايا الآباء على الأبناء ما لم يكونوا مشاركين لهم في شرهم، كما سبق أن أوضحنا أيضًا أن وجود الإنسان بجسد ليس هو بسبب خطايا سبق أن ارتكبتها النفس قبل وجود الجسد[٢]. لأن المسيح بحديثه ضد هاتين الضلالتين أسقطهما بطريقة عجيبة، حيث إنه بلا شك هو يعرف كل شئ كإله،

[٢] يشير هنا إلى شرح الإصحاح الأول من يوحنا عدد ٩ عن النور الحقيقي، ويخصص الفصل التاسع من الكتاب الأول للرد على هذه الضلالة (انظر ص ١٠١ الجزء الأول ـــ الترجمة العربية).

أو بالحرى هو نفسه الحاكم الأعلى لكل أمورنا، وهو الذى يعيّن تلك الأشياء التى تناسب كل إنسان والتى يستحقها كل إنسان، لأنه بقوله إن الأعمى لم يخطئ ولا هو يعانى العمى لهذا السبب، فإنه يبيّن أنه من الحماقة الافتراض أن تكون نفس الإنسان مذنبة بخطايا قبل ولادتها في الجسد: وأكثر من ذلك، فحينما يقول صراحةً إن أبويه لم يخطئا حتى يولد ابنهما أعمى فهو يدحض بذلك شكوك اليهود السخيفة.

لذلك فبعد أن علّم تلاميذه بكل ما هو ضرورى لهم أن يعرفوه لأجل دحض التعاليم التى ذكرناها أعلاه، وأعطاهم كل ما هو ملائم أن يُكشف لعقل الإنسان (من معرفة)، فإنه يصمت بالنسبة لباقى الأمور ولا يقدم توضيحًا عن سبب ولادته أعمى ذلك الذى لم يخطئ قبل ولادته، ونسب للطبيعة الإلهية وحدها معرفة كل مثل هذه الأمور، وتدبير الأمور التى تفوق الفحص. ولكنه بمهارة عظيمة ينقل لغة جوابه إلى شئ آخر ويقول: "*ولكن لتظهر أعمال الله فيه*".

فهل يقول أحد إذن، إن الرب يعلن لنا هذه الكلمات هنا كعقيدة، وكأنه لهذا السبب وحده تصيب الأمراض أجساد الناس، أى **لكى تظهر أعمال الله فيهم**؟ لا يبدو الأمر هكذا بالمرة بالنسبة لى، بل بالحرى إنه منافٍ للعقل أن نتصور أو نفترض هذا؛ فالرب بالتأكيد لا يؤسس عقيدة بالمرة (كما يظن البعض) حينما يقول هذا. لأننا قد تعلّمنا كثيرًا من الكتب المقدسة أن البعض يمرضون بسبب خطاياهم. فبولس يكتب بوضوح لأولئك الذين يتجاسرون أن يقتربوا من المذبح المقدس كما لو كانوا بأقدام غير مغسولة ويلمسون الإفخارستيا السرية

بأيدي غير مقدسة: " *لهذا بينكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكِمَ علينا ولكن إذ قد حُكِمَ علينا نُؤدب من الرب لكي لا نُدان مع العالم*" (١كو١١: ٣٠ـ٣٢). وحسب ذلك فإن المرض والموت يحدثان أحيانًا من الغضب الإلهي، بل وربنا يسوع المسيح نفسه بعد أن شفى المفلوج من مرض طويل وجعله صحيحًا بطريقة إعجازية قال له: " *ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضًا لئلا يكون لك أشر*" (يو٥: ١٤). وبالتأكيد فهو يقول هذا كأنه يمكن أن يحدث أنه إن لم يحترس الرجل فإنه سيُصاب بما هو أردأ بسبب خطيته رغم أنه قد نجا مرة وبفضل الرب قد أُعيدت له صحته. ولكن ربما يقول البعض، سوف نسلم بأن هذه الأمور صحيحة، ولكن ليس من السهل أن ندرك ما هو نوع الشرح الذي يمكن أن يقدمه أي أحد بطريقة مقنعة بخصوص أولئك الذين يتألمون بآلام مرعبة منذ ولادتهم وسنوات حياتهم الأولى أو حتى يُصابون بأمراض وهم لا يزالون في الرحم. فنحن لا نؤمن أن النفس موجودة قبل الجسد، ولا يمكن أن نظن أنها أخطأت قبل الجسد، فكيف يمكن أن تخطئ وهي لم تكن قد وُلدت بعد؟ ولكن إن لم تكن هناك خطية سابقة على الألم فما هو سبب الألم إذن؟

حقيقة لا نستطيع أن ندرك بعقولنا تلك الأمور التي تعلو فوقنا جدًا. وأنا أنصح العقلاء وفوق الكل أنصح نفسي، بالابتعاد عن الرغبة في فحص هذه الأمور بطريقة عميقة. لأننا ينبغي أن نذكر ما قد أوصينا به، وأن لا نفحص بفضول الأمور العميقة جدًا ولا نتفحص في تلك الأمور الصعبة جدًا، ولا نحاول أن نكتشف تلك

الأمور المختفية في المشورة الإلهية التي لا يُعبّر عنها، بل بالحرى في مثل هذه الأمور، ينبغي أن نعترف بتقوى أن الله وحده يعرف هذه الأمور بكيفية تخصه هو وممتازة وفي نفس الوقت ينبغي أن نؤكد ونؤمن أنه بما أنه هو ينبوع كل بر، فهو لن يفعل شيئًا ولن يقرر شيئًا في شئون البشر أو في أمور باقي الخليقة يكون غير لائق بذاته أو يتعارض بأي حال مع الاستقامة الحقيقية للبر.

لذلك، حيث إنه يليق بنا أن نفكر بهذه الطريقة، فإني أقول إن الرب لا يتكلم كمن يعلّم عقيدة حينما يقول: "*بل لكي تظهر أعمال الله فيه*"، بل بالحرى فإنه يقول هذا لكي يحوّل نظر السائل إلى اتجاه آخر، ولكي يقودنا من الأمور العميقة جدًا بالنسبة لنا إلى الأمور التي تناسبنا أكثر، فإنه قد اعتاد أن يفعل مثل هذا الأمر. ولكي تعرف أن هذا الأمر صحيح فاسمع أيضًا كيف أنه حينما كان تلاميذه القديسون يسألون باهتمام عن نهاية العالم، ويسألون بفضول عن مجيئه الثاني، ويتجاوزون الحدود الخاصة بالإنسان، فهو بكل وضوح يجتذبهم بعيدًا عن مثل هذه الأسئلة بقوله: "*ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الله في سلطانه، لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية*" (أع١:٧، ٨). فها أنت تسمع أنه لا يسمح لنا بالمرة أن ندخل إلى تلك الأمور التي لا تناسبنا بأي حال، بل بالحرى يوجهنا أن نرجع إلى ما هو ضروري. هكذا أيضًا في هذا الوقت فإنه إذ قد تكلم بوضوح بما كان يلائمنا أن نتعلمه، فإنه يحتفظ بالباقي في صمت عالمًا أنه يليق به وحده أن يعرف هذا.

ولكن لئلا بصمته التام، كما لو كان يدعوهم أن يسألوه مرة أخرى عن هذه الأمور نفسها طالبين معرفة السبب، وكأنه يصيغ جوابًا يناسب هذه الأسئلة فهو يقول: "*بل لتظهر أعمال الله فيه*". وهذا كأنه قد قال بأسلوب مختلف وأكثر بساطة إن الرجل لم يولد أعمى بسبب خطاياه الشخصية أو بسبب خطايا والديه؛ ولكن حيث إنه قد وُلِدَ أعمى فمن المؤكد أن الله يتمجد فيه لأنه حينما يتحرر ويُشفى من المرض المزعج الذى حلّ به ـــ بقوة من فوق ـــ فمن ذا الذى لا يُعجب بذلك الطبيب الذى شفاه؟ ومن هو الذى لا يعترف بسلطان الشافى الذى أُظهِرَ فيه.

وأظن أن هذا المعنى كامن في الكلمات التى أمامنا، ولكن فليفكر الأذكياء فى المعنى الأكمل من هذا. وإن كان هناك من يحبون المجادلة ويقولون، إن الرجل وُلِدَ أعمى لهذا الهدف ذاته وهو أن يتمجد المسيح فيه، فسنجيبهم أيضًا: هل تظنون أيها الناس الحكماء أن هذا الرجل كان هو الوحيد فى اليهودية الذى وُلِدَ أعمى وقت مجيئ مخلصنا وانه لم يكن هناك أحد غيره بالمرة؟ فإنى اعتقد بالتأكيد أنهم سيعترفون ـــ ولو بغير رغبتهم ـــ أنه غالبًا كان يوجد كثيرون في كل الكورة. فكيف يُظهر المسيح قوته فى واحد منهم أو فى عدد قليل منهم؟ ومع ذلك ففيما يخص هذه الأمور، إنى اعتبر أن المحاولة أمر لا لزوم له. وبما أن الرأى الآخر قد رُفِضَ لحماقته، فنحن نعتقد بصواب أن المسيح بعد أن كشف لنا كثيرًا كما هو مناسب لتعليمنا بخصوص الأسئلة التى سُئلت، فإنه انتقل إلى موضوع آخر محوّلاً اهتمام تلاميذه بمهارة بعيدًا عن البحث فى هذه الأمور

يو٩:٤ " ينبغى أن نعمل أعمال الذى أرسلني مادام نهار، يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل ".

ها هو فى هذه الكلمات أيضًا ـ بطريقة واضحة وملائمة ـ يوبّخ تلاميذه بطريقة مشابهة، وكأنهم قد فعلوا شيئًا ما لم يكن من الواجب أن يفعلوه، وتركوا الطريق المعروف والآمن، ودخلوا فى طريق آخر يبدو غير ملائم لهم بالمرة. (وكأنه يقول)؛ لماذا تسألون عن أمور من الأفضل الصمت من جهتها؟ أو لماذا تتركون ما يناسب الوقت لتفحصوا أمورًا تفوق إمكانية الإنسان؟ (وهو يقول)، ليس هذا هو وقت لمثل هذا الفحص بل هو وقت للعمل والجهد، لأنى اعتبر أنه أكثر لياقة عندما نقابل مثل هذه الأسئلة ـ أن نتمم باجتهاد وصايا الله، وحيث إنه قد جعلنا رسلاً، إذن فلنتمم أعمال الرسولية. فحينما يحسب الرب نفسه مع أولئك المُرسَلين ويدرج نفسه وسط أولئك الذين ينبغى أن يعملوا، فهو لا يجعل نفسه واحدًا منا بأية حال، أو يقول إنه هو نفسه خاضع مثلنا بنوع من العبودية الاضطرارية لمشيئة ذاك الذى يأمر، بل هو يستعمل عادة شائعة في الكلام وهى مألوفة حتى بيننا نحن. لأننا حينما يكون موضوع الكلام ليس له تأثير على السامعين، فنحن قد اعتدنا أن نربط أنفسنا معهم حاسبين انفسنا منهم. ولهذا السبب بلا شك، فإن الحكيم جدًا بولس خاطب الكورنثيين عن نفسه وعن أبولس ثم أضاف أخيرًا: " *فهذا أيها الاخوة حوّلته تشبيهًا إلى نفسى وإلى أبولس من أجلكم لكى تتعلموا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب*" (١كو٤:٦). لذلك (يقول) " *مادام نهار فلنعمل أعمال الذى أرسلني لأنه يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل*".

فى هذه الكلمات، يدعو زمن الحياة فى الجسد "نهارًا"، وزمن

وجودنا فى الموت يسميه "ليلاً". لأنه حيث إن النهار جُعل لتتميم الأعمال والليل جُعل للراحة والنوم، لذلك فإن زمن الحياة الذى ينبغى أن نعمل فيه ما هو صالح يسمونه "نهارًا" ووقت النوم الذى لا يمكن أن يُعمل فيه أى عمل يسمونه "ليلاً". "*لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية*" (رو٦:٧) حسب قول الرسول بولس، إذ أنه عاجز عن فعل أى شئ، ولذلك فهو عاجز عن فعل الخطية.

وهكذا فالكتاب المقدس فى الحقيقة يعترف بوجود فكرة "**نهار مجازى**" وكذلك بفكرة "**ليل مجازى**" فى المقابل. وإذا أخذنا فى الاعتبار هذه التفسيرات المجازية ـــ كل منها فى الوقت الصحيح ـــ فإنها تكشف لنا عن معنى هذه الكلمات التى أمامنا بطريقة خالية من الخطأ.

أما أن يحاول البعض بعنف أن يحوّلوا ما ينبغى أن يؤخذ بطريقة تاريخية ليفسروه تفسيرًا روحيًا فهذا ليس مناسبًا، وهو ليس شيئًا آخر سوى أن نخلط بجهل ما هو نافع إن فُهِمَ ببساطة، وأن نفسد فائدته بواسطة الجهل الكثير.

يو ٩:٥" مادمت فى العالم فأنا نور العالم".

هل سنفتكر إذن (بسبب قوله هذا) أن المسيح لم يعد موجودًا الآن فى العالم. وهل سنظنّ أنه بصعوده إلى السماء بعد قيامته من الأموات لم يعد يسكن وسط الذين يحيون فى الحياة الحاضرة؟ (بل بالحرى نقول) إنه لكونه إلهًا حقيقيًا فهو يملأ ليس فقط السماء وما وراء السماء ويعتنى بها، بل أيضًا يملأ العالم الذى نسكنه ويعتنى به. وكما أنه حينما عاش مع الناس بالجسد، لم يكن غائبًا عن السماء، هكذا أيضًا حينما نفكر تفكيرًا صائبًا، فإننا سنؤمن أنه حتى حينما

يكون خارج العالم بالجسد، فإن طبيعته الإلهية التى لا يُنطق بها، هى حاضرة وسط الذين يعيشون فى العالم. فإن طبيعته تهيمن على الكون، وهى لا تغيب عن أى موجود من الموجودات، ولا تتخلى عن أى كائن، بل هى حاضرة في كل مكان وفى كل الأشياء؛ وهى تملأ كل الكون المنظور وكل ما يمكن تصوره أنه وراء الكون المنظور؛ وهى وحدها كاملة في ذاتها.

ولذلك يجب أن نفهم معنى ما يقوله الرب فى هذه الكلمات. فالرب بعد أن طرح جانبًا شكوك اليهود كشئ فاسد، وأوضح أنهم كانوا متورطين فى تعاليم غير سليمة؛ وهو قد أعطى النصيحة لتلاميذه أنه يليق بهم بالأحرى أن يجاهدوا فى محبة الأمور التى ترضى الله، وأن يكفوا عن البحث فى الأمور التى تعلو على أفهامهم؛ وبعد أن حذرهم أن وقت العمل سوف يفلت من أيدى أولئك الذين لا يعملون شيئًا ـــ إن لم يكرّسوا كل حماسهم للرغبة فى عمل الصالحات أثناء وجودهم بالجسد فى العالم؛ فإنه يضع نفسه كمثال (لهم) فى هذا الأمر.

فهو يقول، ها أنا أعمل العمل الخاص بى، وحيث إنى قد أتيت لأعطى النور لأولئك الذين يحتاجون إلى النور، لذلك يليق أن أجعل النور يحل أيضًا حتى فى عيون الجسد، إن كانت هذه العيون مريضة مرض العمى المريع، وذلك حينما ألتقى بأى واحد من هؤلاء المرضى.

وتبعًا لذلك فإننا سوف نفهم ما قاله الرب على أنه يشير، بمعنى بسيط إلى من نتحدث عنه. لأنه لا ينبغى ان يشك أحد فى أن الابن الوحيد هو بالفعل **نور حقيقى**، وأنه يملك المعرفة والقدرة لكى ينير

ليس فقط الكائنات التى فى هذا العالم، بل أيضًا كل المخلوقات الأخرى العلوية. فإذا طبقنا معنى هذه الكلمات على الموضوع الذى أمامنا، فأظن إنى سأقدم شرحًا جديرًا بالتصديق.

يو٩: ٦، ٧ " قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى عينى الأعمى. وقال له أذهب واغتسل فى بركة سلوام، الذى تفسيره مُرسل، فمضى واغتسل وأتى بصيرًا " .

نحن نعتبر أن الشفاء الذى حصل لهذا الرجل الأعمى هو مَثَل لدعوة الأمم (إلى الإيمان) ولذلك أيضًا فإننا سنوضح معنى السر ملخصين إياه فى كلمات قليلة.

أولاً، لأن الرب رأى الرجل الأعمى فقط أثناء عبوره "وفيما هو مجتاز"، وقد رآه بعد أن ترك الهيكل، وأيضًا لأنه قرر أن يشفى هذا الرجل دون توسل من أحد، بل بالحرى من تلقاء ذاته ومن رغبته التلقائية الداخلية، لذلك فمن المفيد أن ننظر إلى هذه المعجزة باعتبارها معجزة رمزية.

فهذه المعجزة ترينا بالرمز أن جموع الأمم لم تقدم أى توسل (إلى الله) لإنهم كانوا جميعًا فى الضلال. ولذلك، فإن الله إذ هو صالح بطبيعته فقد أتى بإرادته الذاتية لكى يهبهم رحمته. لأنه كيف يمكن أو بأى طريقة يستطيع العدد الضخم من اليونانيين ومن شعوب الأمم، أن يطلبوا الرحمة من الله بينما كان ذهنهم مظلمًا بالجهل الفظيع حتى أنهم كانوا غير قادرين أن يروا واهب النور. لذلك، فكما أن الرجل الذى شُفِىَ لكونه كان أعمى لم يكن يعرف يسوع ومع هذا فقد حصل على منفعة وفائدة لم يكن يتوقعها، بواسطة رحمة المخلص ومحبته

للبشر، هكذا أيضًا عمل المسيح مع الأمم.

وقد حدث عمل الشفاء فى السبت، والسبت يمكن أن يكون رمزًا للفترة الأخيرة للعالم الحاضر، التى فيها أشرق المخلص بنوره على الأمم. فالسبت هو آخر الأسبوع، والابن الوحيد أتى فى الجسد وحل وظهر لنا جميعًا فى الساعة الأخيرة وفى الأزمنة النهائية للعالم .

أما عن طريقة الشفاء فإنه يليق بنا حقيقة أن نُدهش ونقول: " *ما أعظم أعمالك يارب، كلها قد صنعتها بحكمة* " (مز١٠٣: ٢٤س).

فربما يقول أحد: لماذا، رغم أن الرب يستطيع بسهولة أن يجعل كل الأشياء صحيحة، بكلمة، فلماذا يصنع من التفل طينًا، ويطلى عينى الأعمى ويبدو وكأنه يصف له إجراء من نوع ما، بقوله: " *اذهب اغتسل فى بركة سلوام*"؟.

إننى أعتقد أن هناك بالتأكيد معنى عميق مختبئ وراء هذه الكلمات، لأن المخلص لا يصنع شيئًا بدون هدف. فهو بواسطة طلائه بالطين يكمل ما كان ناقصًا وعاطلاً فى طبيعة العين، وبذلك يبين أنه هو بذاته الذى شكّلنا فى البدء، وأنه هو خالق ومصوّر الكون. وقوة عمل الشفاء هذه لها معنى سرى بشكلٍ ما، لأن ما قلناه حالاً فيما يخص هذا العمل وما يمكن أن يُفهم منه، فإننا سوف نذكره مرة أخرى.

لم يكن الأمم يستطيعون أن يتحرروا من العمى الذى أصابهم وأن ينظروا النور الإلهى القدوس، أى أن ينالوا معرفة الثالوث القدوس الواحد فى الجوهر، إلاّ بأن يُعطَى لهم أن يصيروا شركاء جسده المقدس وأن يغتسلوا من خطيتهم التى هى مصدر الكآبة المظلمة،

وأن يجحدوا سلطان الشيطان بواسطة المعمودية المقدسة.

وحينما طبع المخلص على الرجل الأعمى العلامة الرمزية التى كانت إشارة مسبقة للسرّ، فإنه أظهر تمامًا قوة مثل هذه المشاركة بأن طلى عينيه بتفله.

وكصورة للمعمودية المقدسة فقد أمر الرجل أن يسرع ويغتسل فى سلوام، وهو اسم، شعر الإنجيلى بسبب حكمته وبالوحى الإلهى، أنه من الضرورى أن يعطى تفسيره. فإننا نعرف من هذا التفسير أن "المُرسَل" ليس هو آخر سوى الله الابن الوحيد مفتقدًا إيانا ومُرسلاً من فوق، أى من الآب، لكى يحطم الخطية وضراوة الشيطان. ونحن إذ نتعرف عليه (أى على الابن الوحيد) طافيًا بطريقة غير منظورة فوق المياه المقدسة (المعمودية)، فإننا نغتسل بالإيمان، لا لأجل " *إزالة وسخ الجسد*"، كما هو مكتوب (انظر ١بط٣:٢١)، ولكن لغسل وإزالة التلوث والنجاسة التى فى عيون الذهن، حتى إذا تطهرنا، يكون لنا رجاء أن ننظر الجمال الإلهى بنقاوة.

ولأننا نؤمن أن جسد المسيح هو واهب للحياة، حيث إنه هو هيكل ومسكن كلمة الإله الحى، وفيه توجد كل قوة الكلمة، ولذلك نحن نعلن أن جسده هو أيضًا "مصدر للنور"، لأنه هو جسد ذلك الذى هو بالطبيعة النور الحقيقى. وكما أنه حينما أقام وحيد الأرملة من الموت، فإنه لم يكتفِ بمجرد أن يأمره قائلاً: " *أيها الشاب لك أقول قم*"، رغم أنه معتاد أن يتمم كل الأشياء التى يريدها بواسطة كلمة ـــ لكنه أيضًا لمس النعش بيده، موضحًا أن جسده أيضًا يملك القوة الواهبة للحياة. هكذا أيضًا فى هذه الحالة (المولود أعمى)، فإنه يطلى بتفله، معلمًا أن

جسده أيضًا هو "مصدر للنور"، حتى ولو كان بمثل هذه اللمسة البسيطة. لأنه هو جسد النور الحقيقى، كما سبق وقلنا.

وهكذا يذهب الرجل الأعمى بأقصى سرعة ممكنة، ويغتسل ويتمم كل ما طُلِبَ منه بدون تأخير، مُظهرًا فى شخصه استعداد الأمم للطاعة، أولئك الذين كُتِبَ عنهم: " *أمال أذنه لاستعداد قلوبهم*" (مز٩: ١٧س). لقد كان اليهود التعساء حينئذٍ قساة القلب، أما الأمم فكانوا خاضعين تمامًا فى طاعتهم وشهدوا لذلك بما فعلوه (أى إيمانهم بالمسيح).

والرجل الذى كان أعمى، قد نزع عنه عماه عندما غسل عينيه من الطين، ورجع الآن "بصيرًا". لأنه هكذا كانت مسرة المسيح أن يتم هذا. لذلك فما أعظم الإيمان، الذى يقوى فينا نعمة الله المعطاة لنا. وما أكثر ضرر الشك والارتياب، لأن "*رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه ولن ينال شيئًا من عند الرب*" كما هو مكتوب (يع١: ٧و٨).

يو٩:٨، ٩ " فالجيران الذين كانوا يرونه قبلاً أنه كان أعمى قالوا، أليس هذا هو الذى كان يجلس ويستعطى. آخرون قالوا هذا هو. وآخرون إنه يشبهه. وأما هو فقال إنى أنا هو " .

من الصعب أن يصدق الإنسان مثل هذه العجائب الفائقة ــ والتى تتجاوز ما يعرفه الإنسان ــ وأيًا كان المصدر الذى تأتى منه، فإن العقل يعجز عن إدراكها، ومن النادر أن تُعامل بتقدير حينما تفرض قوتها المقنعة على عقول الناس. ولأن محاولة فحص ما يتجاوز طاقة العقل تشير إلى وجود حالة في العقل ليست بعيدة عن الجنون. وإنى أظن أن عدم إيمان البعض الذين كانوا قد عرفوا الرجل الأعمى قبلاً

ــ أثناء تردده على مفارق الطرق ــ دُهشوا حينما رأوه ــ على غير توقع ــ قادرًا أن ينظر الأشياء ببصر واضح. وانقسموا فيما بينهم، فالبعض كانوا غير متأكدين مما حدث، والبعض الذين فكروا بعناية في عظمة العمل يقولون إنه ليس هو نفس الرجل بل هو واحد يشبه ذلك الذى كانوا يعرفونه قبلاً. لأنه في الحقيقة ليس من الغريب أن يعبّر البعض عن هذا الرأى. فهؤلاء برفضهم للحقيقة كانوا مضطرين أمام عظمة المعجزة أن يكذبوها. والبعض حفظوا أذهانهم نقية من الاعتراضات الصريحة، وفى توقير ومخافة يعترفون بالمعجزة ويقولون إنه هو نفس الرجل. أما الذى شُفِى فقد حسم الأمر بسرعة بأن نطق عن نفسه بتصريحه الخاص الجديد بكل تصديق لأنه لا يجهل أحد ذاتيته الخاص حتى ولو كان مريضًا بالحمى.

لذلك فمن ناحية ــ رغم أن هذا العمل المعجزى لا يُصدّق ــ بسبب القوة الفائقة التى ظهرت فيه، فإن هذا العمل يشهد لمن عمله أنه أعظم صانع للعجائب.

يو٩:١٠ " فقالوا له كيف انفتحت عيناك " .

بصعوبة يقبلون أن يصدقوا أنه هو نفس الرجل الذى عرفوه قبلاً. وإذ تركوا شكوكهم حول هذه النقطة فإنهم سألوه كيف شُفِى من عماه، وكيف حدث هذا الأمر غير المتوقع؟ لأنه يبدو من غير المعتاد لأولئك الذين يندهشون أن يقدموا أسئلة غير دقيقة وأن يفحصوا الكيفية التى حدث بها العمل. وهؤلاء الأشخاص فعلوا هذا. ونحن نرى أن هذا كان بإرشاد من الله، وذلك لكى يعرفوا ــ ولو ضد إرادتهم ــ قوة مخلصنا من الرواية والكلام الواضح الذى يقوله لهم

الرجل الأعمى. هذا يمكن أن تقبله أنت كمثال جميل على الذين يتحوّلون إلى الإيمان، من الأمم، ويصيرون معلّمين لشعب إسرائيل، وذلك بعد أن يهربوا من عماهم السابق ويقبلوا الاستنارة التى تأتى من مخلصنا المسيح بالروح القدس. والأحداث نفسها سوف تعلن بصوتٍ عالٍ، أن ما قد قلناه هو صحيح.

يو١١:٩ " أجاب ذاك وقال، إنسان يُقال له يسوع صنع طينًا وطلى عينى وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل فمضيت واغتسلت فأبصرت ".

يبدو أنه كان لا يزال يجهل أن المخلص هو إله بالطبيعة، وإلاّ لما كان قد تكلم عنه هكذا بأقل مما يحق له. ومن المحتمل أنه كان يفكر فيه (فى المخلص) ويحترمه كواحد من القديسين، وربما كوّن هذا الرأى من الإشاعات غير المؤكدة التى تسرى بخصوصه في كل أورشليم، وكانت تتردد فى الأحاديث العامة فى كل مكان. وإضافة إلى ذلك يمكن أن نلاحظ أن المصابين بأمراض فى الجسد والذين يعانون من الفقر الشديد لا يكون لديهم أى اهتمام أن يشغلوا أنفسهم بالتعرف على الآخرين، فإن فقرهم الشديد ــ كما لو كان ــ ينهك قواهم الذهنية. لذلك فالأعمى يتكلم عن المخلص كمجرد إنسان ويصف طريقة الشفاء.

إنه بالتأكيد كان مضطرًا بسبب عظمة المعجزة أن ينسب لذلك الذى صنع المعجزة، مجدًا يتجاوز طبيعة الإنسان؛ ولكن بسبب الاعتقاد أن الرجال القديسين كانوا يتمكنون ــ بقوة الله ــ أن يعملوا عجائب ــ لذلك كان من المحتمل أنه نظر إلى يسوع كواحد من هؤلاء.

يو٩:١٢ " فقالوا له أين ذاك. قال لا أعلم".

إنهم لا يسألون عن يسوع بدافع المحبة لله، ولم يكونوا مدفوعين إلى السؤال عن مكانه وعن من هم الذين كان (يسوع) يتحدث معهم، لكى يذهبوا إليه وينالوا منفعة من أعماله، بل إذ كانوا عمياناً في عيون أذهانهم بما هو أكثر مما أصاب عينى جسد الأعمى، فإنهم اشتعلوا بغضب غير مبرر بالمرة وثاروا مثل وحوش غير مُرّوضة، معتقدين أن مخلصنا قد كسر إحدى وصايا الناموس، وهى تلك التى تمنع أى عمل يوم السبت. وثاروا بعنف لأنه تجاسر أن يلمس الطين ويطلى بأصبعه (عينى الأعمى)، كما أنه وجّه الرجل (الأعمى) أن يغسل عينيه يوم السبت. لذلك ففى غضب ويأس تقيأوا الكلمات: "*أين ذاك؟*" دون وجود أى مبرر لأن يتكلموا بهذه الفظاظة. لأنهم فى تفاهتهم يوجّهون الإساءة لذاك الذى هو جدير بحق بأعظم كرامة، رغم أنهم كان ينبغى أن يُعجبوا به لو انهم كانوا مخلصين ولو كانوا يعرفون كيف يكرمون قوة الله بثناء لائق. ولكنهم فى تهورهم وخبثهم طرحوا جانبًا ما كان ينبغى أن يفكروا فيه ويفعلوه بطريقة لائقة، ولكنهم بدلاً من ذلك سلّموا أنفسهم لعنف غير مناسب. وافترضوا خطأً أنهم كانوا يؤدون واجبًا بالدفاع عن الناموس الذى أُسيئ إليه بطريقة ما، وهكذا يسألون عن يسوع كواحد قد مارس عملاً فى السبت، وبهذا تعدى الوصية العظيمة بشفائه لهذا الرجل.

إنهم بالتأكيد ربما افترضوا أن الله كان قاسيًا وغير شفوق فى السبت، وأنه كان غاضبًا جدًا حينما رأى إنسانًا يُشفى، ذلك الإنسان الذى خُلِقَ على صورته ومثاله، والذى من أجله جُعِلَ السبت. "*لأن ابن الإنسان هو رب السبت أيضًا*" بحسب قول المخلص (انظر مت١٢:٨).

يو٩:١٣، ١٤ " فأتوا إلى الفريسيين بالذى كان قبلاً أعمى. وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه " .

إنهم يأتون بالإنسان إلى الرؤساء لا لكى يعرفوا ما قد صُنِعَ ويُعجبوا به؛ لأنه ليس من المحتمل أن الرجال المشحونين بحسد شديد ضد مخلصنا المسيح يمكن أن يُسرّوا بأى عمل مثل هذا، بل إنهم ربما يتهمون يسوع بتعدى الناموس وبأنه فاعل شر بصنعه الطين يوم السبت. ولأنهم يرفضون فكرة المعجزة بسبب صعوبة تصديقها فإنهم يمسكون بهذا العمل (طلى الطين) ويعتبرونه تعديًا، ولكى يجدوا برهانًا على ما حدث، فإنهم يأتون بالإنسان الذى أجرى له يسوع المعجزة. وفى نفس الوقت هم يظنون أنهم سينجحون فى نوال شهرة التقوى التى بحسب العادات اليهودية، ولذلك يتشددون فى تطبيق وصية الناموس بأقصى صرامة. لأنه فى سفر التثنية، فإن الذى هو بالطبيعة الإله الحقيقى يأمر الأتقياء ألاّ ينحرفوا وراء إله آخر، ولا أن يفكروا أنه توجد أي آلهة غيره، بل يوصيهم أن يعبدوه وحده بالحق وأن يبغضوا بشدة أولئك الذين يتجاسرون أن يشيروا عليهم بغير ذلك. إذ يتكلم هكذا: " *وإذا أغواك سرًا أخوك ابن أبيك أو أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً، نذهب ونعبد آلهة أخرى... فلا ترضَ منه ولا تسمع له ولا تشفق عينيك عليه ولا ترقّ ولا تستره بل تخبر عنه إخبارًا* " (تث١٣:٦، ٨، ٩س). وهكذا، فاليهود إذ ينظرون فقط إلى أخطاء الآخرين ويعملون كل شئ بحماقة في تطبيقهم القانون الخاص بخطية معينة، ويحضرون أولئك الذين يضبطون في أى فعل مضاد للناموس، أمام الرؤساء، ظانين بهذا أنهم يكرّمون معطى الناموس. لهذا السبب، أظن أنهم

سألوا (أولاً) عن يسوع قائلين " *أين هو*" (يو٩:١٢)، ولما لم يستطيعوا أن يجدوه فى أى مكان، فإنهم أتوا بذاك الذى أُجريت له المعجزة لكيما يصادق بصوته على شهادة كسر الناموس بسبب أعمال ذلك الذى شفاه في يوم السبت.

وحينما يوضح لنا الإنجيلي المبارك أنهم اغتاظوا بشدة من صنع الطين يوم السبت، فإنه يشير بطريقة ملائمة إلى سخافة الأمر مضيفاً قوله: "*وكان سبت حين صنع يسوع الطين*".

يو٩:١٥ " فسأله الفريسيون أيضًا كيف أبصر" .

إنهم يشغلون أنفسهم بخصوص كيفية الشفاء، وكأنهم يشعلون نار الخبث الموجود فيهم إلى درجة أكبر، ويسألون أسئلة لا لزوم لها، وكما يبدو فإنهم يعترفون بالمعجزة دون قصد. أليس أمرًا غير معقول الافتراض أن الذين أحضروا الرجل الذى كان قبلاً أعمى لم يذكروا سبب إحضارهم له؟ ولكن كأنه لم يكن يكفى الرؤساء أن يتهموا المسيح، بل يضطرون الرجل أن يعترف بفمه بما قد حدث له، معتقدين أنه بهذه الوسيلة، يكون اتهامهم الخبيث له قوة أكبر. ونلاحظ أنهم لا يسألون مجرد سؤال إن كان قد شُفِى، ولكنهم يسعون بالحرى أن يسمعوا منه كيف أبصر، فهذا هو ما كانوا يتلهفون بنوع خاص أن يسمعوه: "صنع طينًا وطلى عينى". لأنهم اعتقدوا بحماقة أن كل تعدى الناموس يكمن في هذا الأمر (صنع الطين يوم السبت) وإذ تصوروا أن الشرائع المُعطاة من فوق قد انتُهكت، فإنهم فكروا أن اغتياظهم كان بالصواب، وأن العقاب ينبغى أن يوقّع على ذلك الذى أغاظهم.

" فقال لهم وضع طينا على عينى. واغتسلت فأنا أبصر".

إنهم يقبلون بشغف اعترافه بالمعجزة كما لو كانت نوعًا من الغذاء لحسدهم، ويسرّون باقتناص عذر لهياجهم ضد يسوع. لأن الرجل الذى كان أعمى يروى كل شئ فى هذه المناسبة بكل بساطة، ويتكلم باختصار في عبارات قصيرة يمدح فيها طبيبه، لأنه ذُهِل بشدة من طبيعة الشفاء. ومن المحتمل أن يكون قد فكر فى ذهنه أن يسوع قد أعطاه القدرة على الإبصار بصورة معجزية بطليه الطين، وهو دواء غير مألوف. ويبدو لى أنه بقوله: "*صنع طينًا وطلى عيني*"، له دلالة كبيرة ومعنى قوى. وكأنه يمكن أن نفترض أنه يقول: أنا أعلم إنى أتحدث إلى مستمعين خبثاء ومع ذلك لن أخفِ الحق لهذا السبب. إنى أرد للمحسن إلىّ تشكراتى مقابل ما فعله لى؛ وأنا أسمَى من أن أصمت فى غير وقت الصمت. وإنى باعترافى أكرّم الطبيب، وهو الذى لم يزعجنى بأية عملية معقدة للشفاء، أو يجرى العملية بالمشرط والجراحة، أو يتمم ما هو ضرورى بواسطة خليط مركب من العقاقير، ولم يتبنَ أية طريقة عادية بل بالحرى أظهر قوته بوسائل عجيبة. "*صنع طينًا وطلى عيني واغتسلت فأنا أبصر*". ربما يكون أمرًا جديرًا بالملاحظة أن الرجل بصواب تام كتتويج لوصفه هذه الأحداث ــ أضاف قائلاً: "*فأنا أبصر*". وهو بهذا كأنه قال: إنى سأبرهن لكم أن قوة الشافى لم تكن عبثًا. إنى لن أنكر النعمة، فإنى الآن أملك ما كنت أتوق إليه سابقًا. (وهو يقول): أنا الذى كنت أعمى منذ ولادتي ومريضًا من رحم أمى، قد طُليت بالطين وشُفيت، "*وأنا أبصر*"، أى إنى لا أريكم عيني مفتوحة مخفيًا الظلام في العمق، بل إنى أبصر حقيقة. إنى ابتداء من الآن أستطيع أن أنظر الأشياء التى

كنت سابقًا أسمع عنها فقط. هوذا نور الشمس الساطع يضيئ حولى!. هوذا جمال المناظر الغريبة يحيط بعيني!. منذ وقت قصير لم أكن أعرف ما هو شكل أورشليم، أما الآن فأنا أرى هيكل الله يتألق فيها، وأرى فى وسطه المذبح الموقر حقًا. وإذا وقفت خارج البوابة، فإنى أستطيع أن أرى منطقة اليهودية المحيطة ويمكننى أن أميز بين التل والشجرة. وحينما يميل الوقت نحو المساء، فإن عيني لا تعود تفشل فى ملاحظة جمال الأمور العجيبة التى هى فوق، أى النجوم البراقة ونور القمر الذهبى. بسبب هذا فإنى أُذهل من مهارة ذلك الذى صنعها؛ فمن " *جمال المخلوقات*" (حكمة١٣: ٥س) فإنى مع الآخرين سأعترف بالخالق العظيم.

فمهما كان تصوره ضعيفًا ومهما كان الكلام الذى نطق به ليس فصيحًا، فإن لغته مملوءة بكل قوة حينما يضيف قائلاً: " *فأنا أبصر*" بعد أن قال " *صنع طينًا وطلى عيني*". لأن أسلوب الجدل الذى يستعمله، لا يستبعد كل ما هو جميل في التصور أو يرفضه كأنه بلا نفع. لذلك فحينما حقق الفريسيون مع الرجل الذى نال رحمة من المسيح، فإنه تحدث ــ كما قلنا ــ بطريقة بريئة حقًا، وبأقصى قدرة عنده، أعلن قوة ذلك الذى شفاه.

يو٩:١٦ : " فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت ".

هم يقولون في حماقتهم إنه ليس من الله، وهو الذى يملك القوة أن يعمل أعمال الله؛ ورغم أن الابن يُرى **مُكلّلاً مع الآب ضابط الكل، بمجدٍ مساوٍ**، فهم بطريقة غير معقولة لا يخجلون من أن يتهموه بعدم

التقوى. وهم يتجاهلون رواية المعجزة ويهاجمون صانع العجائب بحسدهم الشديد، وبغير مبالاة يتهمون الذى لم يعرف خطية أنه فاعل شر. إنهم بحماقة يعتقدون أن الناموس كله قد كُسِرَ عندما تجرأ وحرّك إصبعًا واحدًا في يوم السبت، رغم انهم هم أنفسهم " *يحلّون ثورهم من المذود ويمضون به ويسقونه*" (انظر لو١٣:١٥)، بل وأكثر من ذلك: " *إذا سقط خروف فى حفرة أما يمسكه صاحبه ويقيمه*" كما هو مكتوب (انظر مت١٢:١١). وهكذا فهم "*يُصَفّون عن البعوضة*" كما قال المخلص (انظر مت٢٣:٢٤)؛ لأن هذه كانت هى عادتهم المألوفة. وهم بحماقة كثيرة وبيأس متهور لا يصدقون أن المسيح فعل هذا العمل العجيب، ولا يعترفون ــ منذ أن عمل هذا الشفاء ــ بما هو عليه؛ بل هم يثيرون اعتراضات تافهة عن السبت، وكأنه فى رأيهم أن كل فضيلة تكمن فى مجرد عدم عمل شئ يوم السبت، وينكرون تمامًا علاقته بالله قائلين إنه "*ليس من الله* ".

ورغم أنه كان عليهم بالحرى أن يُدركوا أن ذلك الموجود أمامهم (المسيح) له سلطان على شرائعه الخاصة، وأنه كان أمرًا مرضيًا ومقبولاً عند الله أن يصنع الخير حتى فى يوم السبت، وأن لا يُترك من يحتاج الرحمة بغير رجاء. فمن منكم يرفض أن يمدح فاعل الأعمال الصالحة، وأية فضيلة يمكن أن تُحدد بوقت معين؟ ومع ذلك، فبينما هم يُعجَبون بيشوع البطل القديم الذى استولى على أريحا يوم السبت، وأمر آباءهم أن يفعلوا الأمور التى يفعلها المنتصرون، وهو نفسه لم يحفظ راحة السبت، إلاّ أنهم يهاجمون المسيح بشدة. وكما يدفعهم شعورهم الشخصى السيئ فهم لا يسعون فقط أن ينزعوا عنه

المجد اللائق بالله، بل أيضًا أن يسلبوه الكرامة اللائقة التى تحق للرجال القديسين. وإذ يدفعهم خبثهم أن يتكلموا بطريقة متهورة جدًا، فهم يكيلون له تهمة عدم التقوى، وهو الذى يبرر العالم، والذى لأجل هذا الغرض جاء إلينا من الآب.

يو٩:١٦ (تابع): " آخرون قالوا كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات. وكان بينهم شقاق".

وهؤلاء أيضًا يقلّلون فى تفكيرهم من شأنه ويتكلمون عنه حاسبين إياه مجرد إنسان. ولكنهم إذ اقتنعوا بسبب المعجزة العجيبة فإنهم يعترفون بأفضلية المسيح على الناموس. وإذ وضعوا البرهان الناتج عن العجيبة الإلهية مقابل راحة السبت، فإنهم يظهرون كقضاة عادلين. ومع ذلك، ألم يكن مما يتفق مع المعانى الموضوعة عن السبت أن تستبعد تهمة التعدى كلية، وأن يبرأ من الخطية ذاك الذى لم يتردد ـ حينما رأى من المناسب ـ أن يصنع عملاً حتى فى يوم السبت؟ ولكن، لكى يأتوا إلى هذه النتيجة (أى استبعاد تهمة التعدى) بتفكير معقول وحتمى (أى كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل آيات)، فإنهم أثاروا مثل هذا التساؤل. لأنه أمر واضح ومُعترف به بلا منازع أن الله لن يعطِ القوة لتحقيق أى عمل إعجازى، لأولئك الذين يهملون الناموس الإلهي ويبطلون الوصايا المُعطاة من الأعالى.

ومع ذلك، ففى رأى هؤلاء اليهود أن مثل هذه القوة قد أُعطيت للمسيح رغم أنه أبطل الناموس من جهة السبت. وبالتأكيد فإن عمل شئ يوم السبت لا يُعتبر بالضرورة خطيئة، كما أنه لا يستطيع أحد أن يشك أن فعل الأعمال الصالحة هو أفضل جدًا من البقاء بدون

عمل شئ يوم السبت. وعلى أى الأحوال، كما يقول المخلص نفسه فى موضع آخر إنه مسموح للاويين أن يباشروا الخدمة يوم السبت، وهم يمارسون وظائفهم فى ذلك اليوم دون ان يُلاموا، بل بالحرى فإنهم لو لم يقوموا بأعمالهم لصاروا موضع لوم. فهل يعترض عليهم أحد إذا وجدهم يذبحون الثيران يوم السبت أو يقدمون أنواعًا أخرى من التقدمات؟ ولكن على الأرجح فإنهم سيُتهمون (بالتقصير) إن كانوا لا يقومون براجبهم ويتممون فرائض العبادة الناموسية. لذلك فإن كانت الأشياء المُكرّسة بحسب الناموس تُقدم بلا أى مانع إلى المذبح الإلهى لمنفعة أشخاص معينين حتى في يوم السبت؛ ألاّ يكون أكثر ملائمة أن يُصنع معروف للإنسان الذى تم معه العمل العجيب، ويكون هذا مقبولاً حتى في يوم السبت؟ لذلك فإن بعض اليهود ــ بتفكير عادل ــ يميلون إلى أن يحكموا حكمًا ممتازًا، وإذ يرفعون عن عيون ذهنهم غشاوة الجهل الذى تتميز به أمتهم، فإنهم يعجبون بمجد المخلص (رغم أنه ليس إعجابًا كاملاً ــ لأنهم يتكلمون عنه بأقل مما ينبغى)، وهم يفضلون أنفسهم عن أولئك الذين يدينونه فعلاً.

لأن فريقًا من اليهود ــ بدون تقوى سمحوا للحسد أن يتملكهم أكثر من التعقل اللائق، ويعتبرون من يمكن بطبيعته ألاّ يُوجه إليه لوم بأى حال، يعتبرونه متعديًا. بينما الفريق الآخر ــ فإنهم إذ ينظرون إلى طبيعة العمل (أى معجزة الشفاء) نظرة صائبة فإنهم يدينون مثل هذا الاتهام الأحمق (اتهام المسيح بالتعدى). ومن المحتمل أنهم عندما قالوا: "*كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات*"، إنهم كانوا يقصدون أمرًا ما آخر. وربما كانوا مهتمين أن يدافعوا عن أعمال

الرجال القديسين، وكأنهم يقولون: إن قبلنا أنه من الممكن للعصاة أن يمجدوا أنفسهم بأعمال خارقة، وأن يعملوا أعمالاً عجيبة فما الذى يمنع أولئك الذين يميلون لتوجيه الاتهامات، من أن يوجهوا تهمًا ضد معظم الأنبياء؟ أو شيئًا فشيئًا فإنهم سيهاجمون موسى المبارك نفسه ويقللون من قدر مثل هذا الشخص المُكرّم جدًا، رغم أن أكثر الأعمال عظمة تشهد له. لذلك فإن هؤلاء الناس يدافعون عن مجد الآباء الذى يتعرض للضياع (فى حالة قبول التهمة ضد المسيح)، فينظرون إلى الظروف الخاصة بمعجزة الشفاء كبرهان على أظهار حبهم للآباء.

يو١٧:٩ : " قالوا أيضًا للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك؟".

إنهم يتصورون أن من يحكمون بالعدل، يضلون فى تفكيرهم ويبدو لى أنهم قد نسوا تمامًا الذى يقول: "*..اقضوا بالحق*" (تث ١٦:١). ولأنهم قد صاروا مقيدين بقيود الحسد، فإنهم لا يستطيعون أن يحتملوا بالمرة سماع أية كلمة تكرّم المسيح. إذ يتحولون عن أى شخص يريد أن يتكلم عن معجزات المسيح ــ وكأن هذا الشخص عدو لهم، ولا يثقون فى قدرته على الشرح، فإنهم يوجهون كلماتهم بتعالٍ، إلى الرجل الذى نال الشفاء. ومرة أخرى يسألون عن ما قد أُخبروا به عدة مرات (قبل ذلك)، وهم قد أعلنوا رأيهم أن من عمل عملاً يوم السبت فهو حقير وشرير. وكانوا يظنون أنه لهذا السبب فإن الرجل الأعمى سيشترك معهم فى إدانته، متخذًا الإشارة من كلماتهم، وأنه سيخبئ كل علامات الشكر الخارجية خوفًا وارتعابًا من غضبهم، ويسرع باتهام يسوع بأنه يحتقر الناموس بسبب أن اليوم كان سبت.

لذلك فإن خطة الفريسيين كانت شريرة ولا شك أنها كانت حمقاء أيضًا. لأنه كيف يمكن لكلام إنسان غير شاكر أن يقلل من قوة العجزة؟ وكيف لا يظهر مجد المسيح الإلهى حتى ولو حدث أن الرجل الأعمى ــ بسبب الخوف ــ أنكر الإحسان الذى ناله، لكى لا يتعرض لأية معاناة من أولئك الذين يريدون أن يؤذوه؟ ولكن الحسد يستطيع أن يقنع أولئك الذين يطفحون به، أن يفعلوا أى شئ يريدونه حتى ولو أدى بهم إلى أن يسلكوا مسلكًا يكون موضع إزدراء. أما العقل الحر من مثل هذه الأفكار، فهو لا ينشغل بمجادلات حمقاء، بل إذ هو يحتفظ دائمًا بسموه الطبيعى غير ملطخ، فإنه يتجه مباشرة إلى الرأى الصحيح ولا يبتعد أبدًا عن حدود الحق. لذلك، فقد كان الفريسيون وضعاء ومتعجرفين، وهم يتصورون أن أولئك الذين اختاروا أن يفكروا ويتكلموا باستقامة إنما يضلّون فى شهادتهم. وهكذا فإن الفريسيين يحاولون أن يجبروا الرجل أن يتكلم بكلمات رديئة عن ذاك الذى قد أنعم عليه، بطريقة معجزية، ببركة لم تكن متوقعة. ولكن الرجل كان مستعدًا أن يعبّر عن الشكر، وكان قريبًا من المعرفة الجلية بواسطة المعجزة التى حدثت.

" فقال، إنه نبى ".

لقد أُصيبوا بسهم جاء فى قلوبهم، أولئك الذين لا يقبلون التفكير المستقيم والعادل وهم يسعون إلى ما يرضى حسدهم فقط. لأن " *المخادع لا يمسك صيدًا* " كما هو مكتوب (أم١٢:٢٧س). فخطتهم المملوءة بالغيرة قد بَطُلت على عكس توقعهم. وقد خاب رجاؤهم بشدة حينما جاءهم الرد الذى أدهشهم: " *إنه نبى* ". لأن الرجل الذى

شُفِى إذ هو يحكم بصواب تام، فهو يتفق مع رأى الفريق الآخر. لأنهم (هذا الفريق) إذ ينظرون بفهم إلى طبيعة عمل الشفاء، فإنهم يقولون إنه لا يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذا العمل. والرجل الذى أُجريت له المعجزة إذ يتبع نفس هذه الطريقة فى التفكير، فإنه يعلن أن يسوع نبى، إذ لم يكن قد تعلّم بدقة من يكون هو فى الحقيقة، بل هو يعبّر عن رأى كان شائعًا بين اليهود. لأنه كان أمرًا معتادًا عندهم أن يسموا صانعى العجائب أنبياء، معتبرين أن الله يشهد لقداستهم بهذه الطريقة (بواسطة المعجزات).

وبناء على ذلك، فكما أنهم بصواب يقررون أن لا يهينوا عظمة المعجزة الإلهية بسبب توقيرهم للسبت، بل يستنتجوا منها أن ذلك الذى صنع هذه الآية هو غير مذنب بأية خطية. وهكذا أعتقد أن هذا الإنسان يفكر بنفس الطريقة، وإذ يطرح جانبًا الاعتراض التافه بخصوص السبت، فإنه بأفكار أكثر لياقة يعطى المجد لذاك الذى قد وهب له البصر مجانًا، وإذ يضعه فى رتبة القديسين، فإنه يقول عنه " *إنه نبى*". وأكثر من ذلك فهو يبدو لى أنه ليس عنده تقدير كبير لفرائض الناموس، وإلاّ لما كان قد أُعجب بيسوع إلى هذه الدرجة، ولما رفع طبيبه الذى شفاه إلى رتبة نبى بالرغم من مخالفته الظاهرة لشريعة السبت. وإذ قد نال بالتأكيد منفعة من العمل المعجزى، وإذ قد وصل إلى حالة ذهنية أفضل من حالة اليهود، فإنه لذلك اضطر أن يعترف بسمو صانع المعجزة فوق الفرائض الناموسية، وهو (المسيح) الذى بفعله للأعمال الصالحة (المعجزات) يعتبر أن مخالفة الناموس (لهذا الغرض) هى أمر غير ملوم.

يو٩:١٨، ١٩ : " فلم يصدق اليهود عنه إنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوى الذى أبصر. فسألوهما قائلين: أهذا ابنكما الذى تقولان إنه وُلِدَ أعمى. فكيف يبصر الآن"؟.

إن حسدهم الشديد فى داخلهم ضد "الشافى" لم يسمح لهم أن يؤمنوا بالأمر الذى اعترف به الكل، وبتأثير نوبة جنون فإنهم بالطبع لا يعطون اهتمامًا كبيرًا لاكتشاف الحق، ويتكلموا كذبًا ضد المسيح. ففى البداية وجهوا ضغطًا على الأعمى نفسه، والآن يضغطون ليس بأقل على والديه. ولكن كانت النتيجة عكس ما قصدوه تمامًا. إنهم يسألون أبوى الرجل سؤالاً لا لزوم له بالمرة، ويبدون لى فى حماقتهم غير المحدودة أنهم يهينون الناموس نفسه الذى يوقرونه ويغالون جدًا فى تمسكهم به. لأن الجيران ــ كما هو مكتوب " *أتوا بالذى كان قبلاً أعمى*"، ووضعوه وجهًا لوجه مع أولئك الذين كانوا يسألون هذه الأسئلة، وقالوا لهم بوضوح تام إنه كان قد وُلِدَ أعمى، وشهدوا أنه الآن قد نال البصر. فبينما يقول الناموس بكل وضوح أنه " *على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة*" (تث١٩:١٥س)، فإنهم (الفريسيين) نحّوا جانبًا ليس شهادة اثنين أو ثلاثة فقط بل ربما أكثر كثيرًا، ويمضون للحصول على برهان آخر من والدى الرجل الذى شُفِى، وهكذا يتصرفون ضد الناموس وبحماقة. ولكن الناموس لا يهمهم فى شئ حينما يكونون متحمسين، أن يتمموا شيئًا موافقًا لرغباتهم الذاتية. ولكن حينما جعلتهم الشهادة للمعجزة، التى قدمها الجيران والرجل نفسه الذى شُفِى، يضطربون بشدة رغمًا عنهم؛ فإنهم كانوا يتوقعون أن يقنعوا أولئك الذين يسألونهم الآن (أى الوالدين) لكى لا يقولا الحق، وبالأحرى أن يجعلوهما يتكلمان كما يرغبون هم (السائلون).

فانظر بأى طريقة متغطرسة يوجهّون سؤالهم قائلين: " *أهذا ابنكما الذى تقولان إنه وُلِدَ أعمى*"؟ لأنهم لا يريدون أن يجاهروا بأنهم يريدون أن يعاملوهما بتخويف شديد ويرعبونهما رعبا غير محدود، وأنهما يدعونهما بالإجبار والعنف أن ينطقا بما أرادوا أن يسمعوا منهما، وأعنى الجواب: "إنه لم يولد أعمى". لأنه ليس لديهم سوى هدف واحد عديم التقوى، وأعنى أن يلاشوا التأثير الذى كان للمسيح على الجموع، وأن يبطلوا الإيمان البسيط لهذه الجموع التى كانت مملوءة بالإعجاب (بالمسيح).

وكما يفعل الرجال الذين يحاولون أن يستولوا على مدينة مُحصنة جيدًا فيحيطونها من كل ناحية ويحاصرونها بكل الطرق وفى أحد المرات يحاولون أن يضعفوا الأساسات، وفى مرة أخرى يوجهون ضربات (بالكباش[1] الحديدية) للأبراج لهدم المدن. هكذا هؤلاء الفريسيون عديمو الحياء، فإنهم يحاصرون المعجزة بكل حيلهم الشريرة، ولا يتركون أية طريقة من طرق عدم التقوى دون أن يستخدموها. ولكن لم يكن ممكنًا أن يحطوا من قدر الأمر الذى كان معروفًا جيدًا للجميع، لكى يجعلوه غير جدير بالتصديق أو أن يشوهوا ذلك العمل الذى قد أُعجب به كثيرون، ليجعلوه أمرًا غير أكيد.

يو٩:٢٠، ٢١ :" أجابهم أبواه وقالا: نعلم أن هذا ابننا وأنه وُلِدَ أعمى، وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم، أو من فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن إسألوه فهو يتكلم عن نفسه".

إنهما يعترفان بحقيقة الأمر الذى هو ليس موضع شك، وهذا الأمر

---

[1] الكبش آلة حربية كان يستعملها القدماء لدك المدن المُحاصرة.

لم يكن من المحتمل أن يعانيا بسببه أى شئ غير لائق فهما قد اعترفا أنه ابنهما ولم ينكرا الحالة التى كان عليها وقت ولادته، بل يؤكدان بوضوح أنه وُلِدَ بهذه العاهة، ومع ذلك فهما يتحاشيان أن يرويا قصة المعجزة تاركين لطبيعة المعجزة أن تتحدث عن نفسها. ويقولان إنه من المناسب أكثر أو يُوَجه السؤال عن كيفية الشفاء إلى ابنهما نفسه. إن الخوف من الخطر هو بالتأكيد دافع قوى يجعل الناس ينصرفون عن عمل ما هو واجب. ولأنهما انزعجا بشدة من قسوة الفريسيين، فإنهما لم يلاحظا ما كُتب حسنًا فى موضع ما: "*دافع عن الحق حتى الموت*" (يشوع ابن سيراخ٤:٢٨). ومن المحتمل أنهما عانيا معاناة من نوع آخر. لأن الإنسان الفقير هو دائمًا جبان، ولأنه لا يملك قدرة على المقاومة الجسورة بسبب فقره، فإنه كثيرًا ما يلجأ إلى صمت لا إرادى وإلى إذعان إجبارى. ولأنه مسحوق الروح تمامًا بسبب فقره، فهو يبدو غير مبالٍ بأن يُثقل ببلايا أخرى. ومن المحتمل أن أبوى الرجل الأعمى تعرضا لمعاناة من هذا النوع، رغم أن إجابتهما عمومًا مُصاغة بطريقة مقبولة جدًا. لأن الجميع يوافقون أن اعترافهما بأنه (أى الأعمى) ابنهما، هو أمر من المعقول أن يُسألا عنه أكثر من الرجل نفسه، بينما السؤال عن الطبيب الذى شفاه، فهذا لم يكن على الوالدين أن يجيبا عليه بل على ذلك الذى قد اختبر فائدة العمل المعجزى. لذلك فهما يعترفان بوضوح بما يعرفان بقدر ما يُطلب منهما بعدل. أما ما يستطيع هو أن يخبر عنه هو بصدق أكثر ــ حيث إنه يملك معرفة أكثر دقة ــ فهذا ما يطلبان أن يخبر هو عنه. وأظن أنه لم يكن بدون إرشاد إلهى أن يضيفا إلى أقوالهما عبارة: "

هو *كامل السن*". وهذا أيضًا يبدو أنه يشير إلى عدم تقوى الفريسيين. لأنه إن كان ذاك الذى نال البصر مؤهلاً فى هذه المرحلة من عمره أن يعطى رأيًا صحيحًا حينما يروى المعجزة وكيف شُفِىَ، فإنه لن يتكلم بذهن صبى بل بفهم ناضج تمامًا، وربما يستطيع أن يسند بكلامه أولئك المتكلمين الذين يتفق معهم. فهذا إذن سيوضح بالضرورة عدم صدق الفريسيين العديم الحياء. لاحظ أنهم لا يصدقون الجيران ولا الرجل الأعمى نفسه، رغم أنه يعطى برهانًا بعقل ناضج وليس بفهم طفولى قد ينزلق بسهولة إلى الكذب، بل " *هو كامل السن*" وهى حقيقة تمنع أن يكون غير عارف بطبيعة الأمور.

يو٩:٢٢و٢٣ : " قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود، لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح، يُخرج من المجمع".

كان حسنًا ولائقًا أن ينطق الرب يسوع المسيح بهذا الويل على رؤوس الفريسيين: " *ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، وما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم*" (لو ١١:٥٢). ألاّ يدرك الإنسان المحب لله أن جمال الحق يتوافق مع هذه الكلمات؛ لأن المسيح لا يمكن أن يُخدْع أبدًا.

ولاحظ! أنه إلى جانب عدم رغبة أى واحد منهم أن يعلم بحضور المسيح بينهم، فإنهم يرعبون برعب شديد أولئك الذين يستطيعون أن يعرفوه بواسطة روعة أعماله. وفى شراستهم يضغطون عليهم بشدة، ويعوقون أى عضو من صحبتهم يبدو عليه من اعترافه بمعجزاته أنه ميّال لأن يعلّم هكذا ـــ لأنهم بإخراجهم من المجمع من كانوا ذوى

فكر صائب هؤلاء الذين يميلون للإيمان، فإن أولئك التعساء لا يخجلون من (استخدام) سلطانهم بأن يبعدوا بطريقة ما عن الله من هو ملتصق بالله، ويقنعوه أن رب الكل هو شريك فى حماقة كل الذين يخالفون الناموس. ومع ذلك فإن الإنجيلى الجدير بالإعجاب، يدافع عن مثل هؤلاء ويقول إن اللذين (أبوى الأعمى) كان يُسألان، كان يتملكهما الخوف ولذلك لا يريدان أن يقولا إن المسيح قد شفى ابنهما، لكى بإظهار شدة غضب اليهود فإنه (الإنجيلى) يجعل الأمر واضحًا لمن يأتون فيما بعد. لأن أى شئ يمكن أن يكون عديم الإنسانية أكثر من سلوك هؤلاء الرجال الذين يعتبرون الأشخاص ذوى الفكر الصائب مستحقين للعقاب، ويرون ضرورة معاقبة كل من يعرف هذا الذى أُعلن عنه بواسطة الناموس والأنبياء. ونجد من الكتب المقدسة أن خطة اليهود الشريرة كانت معروفة عند الأنبياء القديسين.

لأن ذلك الذى يفحص القلوب والكُلى " *خارقًا إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزًا أفكار القلب ونياته والذى كل شئ عريان ومكشوف أمامه*" (انظر عب٤:١٢)، قال بواسطة إشعياء: " *ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى إنهم يجرون مشورة وليس منى ويصنعون عهودًا وليس بروحى، ليزيدوا خطيئة على خطيئة*" (إش٣٠: ١س). لأن الذى يقول إن "*يسوع رب*" بالتأكيد يتكلم بالروح القدس بحسب كلمات بولس (انظر ١كو١٢:٣). وأما كل من يعترف بعكس ذلك فإنه لم يتكلم بالروح القدس (كيف يكون هذا ممكنًا؟) بل بالحرى ببعلزبول. فبالتأكيد إذن فإن اتفاقات اليهود لم تكن بالروح القدس لأنهم أضافوا خطيئة على خطيئة. فأول كل شئ هم جلبوا ويل

التمرد على رؤوسهم، ثم ينقلونه للآخرين بمنعهم من الاعتراف بالمسيح.

وبالتأكيد تكون خطتهم مملوءة بكل عدم تقوى رغم أن المرنم يضحك من أولئك الذين يعملون عملاً غير مثمر لخيبة أملهم، قائلاً: " *أنت يارب تبتلعهم بسخطك وتأكلهم النار، تبيد ثمرهم من الأرض وذريتهم من بين بنى البشر، لأنهم نصبوا عليك شرًا. تفكروا بمكيدة لم يستطيعوا أن يعملوها*" (مز ٢٠:١٠ـ١٢س). لأنهم كانوا غير قادرين بالمرة أن يتمموا خطة لمحاربة الله رغم أنهم حاولوا كثيرًا بربوات الوسائل أن يحجبوا مجد المسيح، لذلك رُدوا على أعقابهم، أعنى أنهم طُردوا من وجه رب الكل ومن حضرته، وبعدل تُوجه لهم الكلمات: " *سيروا فى نور ناركم وفى اللهيب الذى أوقدتموه*" (انظر إش٥٠: ٢٤س).

يو٩:٢٤ : " فدعوا ثانية الذى كان أعمى وقالوا له أعطِ مجدًا لله. نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ" .

لأن الفريسيين لم يستطيعوا أن يوقفوا الرجل عن أن يتكلم حسنًا عن المسيح، أرادوا أن يصلوا إلى هدف مماثل بطريقة مغايرة. وحاولوا أن يغروه بطريقة متملقة لكى يحققوا غرضهم الخاص. وإذ يحاولون معه بمحاولات عديدة أن ينسى المسيح كلية ولا حتى يذكره كطبيب، فإنهم يقولون له بخبثٍ شديد إنه ينبغى ان يعطى مجدًا لله بسبب العمل المعجزى. وهكذا يتظاهرون بالتقوى، ومع ذلك فإنهم يطلبون منه أن يتوافق معهم ويصدقّهم، حتى حينما يحتفظون بأشنع كفر ممكن بقولهم عن الذى جاء لكى يحطم الخطية، " *أنه خاطئ*".

وهم لا يقدمون أى برهان على هذا التأكيد المملوء بالتجديف، بل لأنهم منفتحون ويظنون فى أنفسهم شيئًا عظيمًا وغير عادى، لمجرد أنهم كانوا قادة الشعب، لذلك يطلبون أن توضع فيهم ثقة مُطلقة فى تمييزهم للأشخاص ويضعون هذه الثقة كأمر واجب؛ لأن الذين يفحصون بدقة ما تشير إليه كلماتهم: "*نحن نعلم*"، سيجدون أنها مملوءة بتشامخ لا يُقارن. ولكنك قد تُدهش دهشة غير قليلة من جماقة فكر اليهود فى هذا القول، إذ بينما يقررون أن المجد ينبغى أن يُنسب إلى الله بسبب المعجزة ــ فإنهم يدينون هذا الذى يعمل أعمال الله بقوته الذاتية. وهؤلاء التعساء، لا يفعلون هم أنفسهم هكذا فقط، بل يجبرون الآخرين أن يتوافقوا معهم.

ومع ذلك، فحينما يجزمون أنهم متأكدون ــ بمعرفتهم الخاصة ــ أن المسيح "خاطئ"، فهم يجهلون أنهم يؤكدون شيئًا ضارًا جدًا بأنفسهم، لأنهم إذ يريدون أن يفتخروا افتخارًا كبيرًا بمعرفتهم للناموس، وإذ يعرضون تصورًا غير مقبول عن الكتب المقدسة، فإنهم سوف يعانون عقابًا أعظم لأنهم رغم أنه كان فى استطاعتهم أن يعرفوا سر المسيح الذى اشار إليه وأعلنه الناموس والأنبياء من خلال صور كثيرة، فإنهم بغير مبالاة إطلاقًا يتمسكون بجهلهم الذى فرضوه على أنفسهم. أو إذا كانت عندهم معرفة دقيقة، فإنهم دائمًا بعناد شديد لا يريدون أن يعملوا ما ينبغى أن يعملوه. لأنهم كان ينبغى بالحرى أن يهذبوا أذهان عامة الشعب ليفهموا أسرار المسيح ويحاولوا أن يقودوا الآخرين لمعرفة ما كان يليق بهم أن يعرفوه. ولكن إذ كانوا مسرفين فى المجادلات ومقتدرين فى الافتخار، ولهم نظرة عالية جدًا

عن أنفسهم، فإنهم يصيحون قائلين: " نحن نعلم"، وبذلك فهم يُنحّون كلمات الناموس جانبًا ويحسبون صوت موسى كلا شئ ويعتبرون إعلانات الأنبياء باطلة مثلها مثل أفكار الغوغاء الذين بلا فهم، لأنهم يفشلون تمامًا عن أن يلاحظوا ما سبق وأخبر به صوت النبى عما سوف يحدث فى زمن مجيء مخلصنا المسيح، إذ يقول: " *حينئذٍ تنفتح عيون العمى وآذان الصم سوف تسمع، حينئذٍ يقفز الأعرج كالإيل ويترنم لسان الأخرس*" (إش٣٥:٥، ٦س). فالمشلول شُفِى عند بركة بيت حسدا، وكما هو مكتوب فبعد أن أن قضى ٣٨ سنة فى مرضه، فإنه بكلمة واحدة من المخلص حمل سريره وقفز مثل الإيل، ومع ذلك فحينما كان ينبغى عليهم أن يُعجبوا بيسوع بسبب ذلك الشفاء، فإنهم يندبون كسر السبت. وإذ قالوا إنه حدث تعدى على الناموس، فإنهم استخفوا بعظمة المعجزة ــ وفى مرة أخرى ــ حينما طرد الروح الشرير من الرجل الأخرس فتكلم، فإنهم سقطوا فى حماقة مرعبة جدًا حتى إنهم لم يحصلوا على أية منفعة من هذه المعجزة. والرجل الأعمى نال البصر وتحقق إعلان النبى وتحققت كلمة الروح بأقصى تحقيق. وماذا؟ وهنا أيضًا فإنهم يثورون ويحكمون على صانع العجائب وينسبون الخطية لذلك الذى له القدرة أن **يضيئ بلمعان إلهى**، وما كان متوقعًا منذ أجيال طويلة سابقة فهو يعرضه الآن محققًا فى الحاضر.

يو٢٥:٩ : " فأجاب ذاك وقال، أخاطئ هو لست أعلم، إنما أعلم شيئًا واحدًا إنى كنت أعمى والآن أبصر " .

يبدو أن النعمة التى نالها من المسيح، الرجل الذى كان قبلاً

أعمى، كانت مزدوجة: فإن عقله استنار بطريقة ما فى نفس الوقت الذى انفتحت فيه عيناه الجسدية، وكما أن عنده نور الشمس الطبيعية فى عينيه الجسدية، هكذا أيضًا فإن الشعاع العقلى، وأعنى به الاستنارة بالروح سكن فى داخله، وقد أخذ هذا الشعاع فى قلبه. فاسمع كيف أنه بسبب محبته للمسيح، فهو يقاوم تصرف الرؤساء الشرير، وكيف يوبخهم بذكاء كسكارى ومتهورين. ولكنه يصيغ كلامه باحترام مناسب، وإذ يعطيهم الكرامة الواجبة كرؤساء، فإنه يقول بكياسة: "*أخاطئ هو لست أعلم*". ونحن لا نستنتج منذ هذه الكلمات أن الرجل لم يكن يعرف أن يسوع ليس خاطئًا، بل بالحرى نفترض أنه خاطب هؤلاء الرؤساء بهذه الطريقة على أساس الخطة التالية، لأنه قد نتخيل أنه يتكلم هكذا:

رغم إنى مضطر ضد إرادتى أن أذعن لما لا يجب (أن يُقال)، فإنى لن أحتمل أن أشتم الذى أحسن إلىّ. إنى لن أرتبط مع أولئك الذين يرغبون أن يهينوه وهو الذى يستحق كل إكرام. إنى لن أقول إن مثل هذا الصانع للمعجزات هو خاطئ. إنى لن أعطى صوتًا غير عادل ضد ذاك الذى له القدرة أن يعمل أعمال الله. المعجزة التى اجترحت لا تسمح لى أن أوافق على كلماتكم، فإنى كنت أعمى والآن أبصر. إنى لم أؤمن بما قصه إنسان آخر عن أعمال المسيح. أنا لا أنجرف وراء روايات يرويها أشخاص غرباء. فما أنا معجب به ليست هى معجزات الشفاء التى تمت مع آخرين. هو يقول، أنا نفسى هو البرهان على قوته. أنا الذى كنت قبلاً أعمى أقف هنا مبصرًا، **كصورة توضح جمال محبته للبشر، وتشع بعظمة قوته الإلهية.**

وإنى أظن أن شيئًا مثل هذا هو المعنى الحقيقي للكلمات التى استعملها ذلك الرجل الذى استعاد بصره. لأنه يقوله: "*أخاطئ هو لست أعلم*" ثم يضيف فى الحال: " *إنما أعلم شيئًا واحدًا إنى كنت أعمى والآن أبصر*"، هذا القول ليس هو أسلوب عبارة بسيطة، بل يظهر المعنى العميق لتفكيره الحكيم جدًا.

يو٩:٢٦ : "فقالوا له أيضًا ماذا صنع بك. كيف فتح عينيك" ؟.

إنهم يميلون مرة أخرى إلى التساؤل، ويستفسرون عن كيفية حدوث الآية الإلهية، وهم لا يفعلون هذا بشعور طيب أو فضول حسن، بل يعتبرون أن التكلم حسنًا عن المسيح بواسطة أى إنسان هو أحقر من أية جريمة وأردأ من أى شر. وهم يثيرون كل هذه الأمور من جديد ظانين ربما أن الرجل لن يعود يكرر نفس الكلمات، بل ربما يغيّر روايته للمعجزة ويقول شيئًا متعارضًا مع أجوبته السابقة، لكى يمكنهم أن يمسكوه بالتناقض ويتهمونه بأنه دجال وكاذب. ولأنهم متشامخون بذكائهم الزائد فإنهم تصوروا أن قوة المعجزة تعتمد على مجرد كلمات بسيطة لإنسان، كما لو كانت غير واضحة من واقع ما حدث فعلاً. وإضافة إلى ذلك أظن أنهم ربما يكونون قد اختبروا شيئًا مما يلى: فهؤلاء إذ هم متقدمون فى بغضهم للآخرين ظلمًا، فحينما يسألون عن أى شئ فعله شخص آخر ــ وهذا الشيئ لا يبدو لهم أنه قد تم بطريقة صائبة ــ فهم يريدون أن يسمعوا عن هذا العمل من الشهود، ليس مرة واحدة فقط بل مرة بعد أخرى. وإنهم يشحذون غضبهم الذى يبدو ضعيفًا جدًا لكى يتحول إلى عمل أكثر عنفًا. وإذ أن الضمير يفحص دوافعنا باستمرار، فهو لا يجعلنا فى راحة ولا

يكف عن اتهامنا بالظلم حتى لو شعرنا بلذة فى عمل ظالم، مدفوعين فى ذلك بتحيز شديد. وهكذا فهم يثيرون الرجل الذى شُفِى ، ويحثّونه ضد إرادته أن يعود إلى الرواية مرة أخرى، وان يجيب على نفس الأسئلة بينما هم غالبًا يومئون بإشارات الواحد منهم للآخر، لكى يلاحظوا بدقة هل هناك شئ غير شرعى ربما يكون قد حدث فى عمل هذه الآية الإلهية يوم السبت. لأن الضمير يوبخ الخطة الشرسة التى تثور فى داخلهم، وكما لو كان يلجمهم، رغم أنهم لا يريدون أن يعترفوا بتبكيت الضمير.

يو٩:٢٧ : " أجابهم، قد قلت لكم ولم تسمعوا، لماذا تريدون أن تسمعوا أيضًا " ؟.

يقول (الرجل الذى شُفِى)، إنه يبدو أمرًا لا لزوم له الآن أن أحكى القصة مرة أخرى لمستمعين ميالين إلى الشك. إنه أمر بلا منفعة لكم أن تسألوا كثيرًا بخصوص هذه الأمور وأنتم لا تنتفعون أى شئ على الإطلاق، وذلك رغم أنكم تعلمون وعندكم برهان حاسم. ولكنكم تسألوننى الآن مرة أخرى أن أعيد نفس الكلمات بدون فائدة، كما توضح خبرتنا معكم بصوتٍ عالٍ. والذى قد شُفِى يوبخ الفريسيين على عدم معقوليتهم، يوبخهم على أنهم "*يصرفون آذانهم عن الحق*"، كما هو مكتوب (٢تى٤:٤). وهم يغضبون على كسر الناموس بطريقة غير مُبررة. وهم بهذه الأسئلة يطلبون من ذلك الذى أراد أن يتكلم حسنًا عن صانع العجائب، أن يظهر فى شكل من يتهمه بدلاً من أن يقبله كمعجب به، لأن هذا هو هدفهم فى الواقع، حيث إن التعدى على الناموس كان أمرًا لا يبالون به بالمرة وتجاوزوا عنه على أنه لا

أهمية له إطلاقًا. ولهذا السبب نحّوا جانبًا الحكم العادل وكانوا متجهين فقط إلى إرضاء أهوائهم، وهم قد نسوا الله الذى يقول: " *لأن شفتى الكاهن تحفظان الحكم (معرفة)، ومن فمه يطلبون* الشريعة" (ملا٢: ٧س).

يو٩: ٢٧ : " ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ"؟.

لقد اعترف الآن بوضوح وبدون أى تهرب أنه كان تلميذًا، ليس بالتعليم لكن بالعمل المعجزى؛ وصار مؤمنًا لا عن طريق التعليم بل بحصوله على البصر المعجزى (غير المتوقع). لأنه حينما قال لهم، " *ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟* "، فكأنه كشف بهذا فكره الخاص، أى أنه لم يكن فقط راغبًا أن يصير تلميذًا بل قد صار هكذا فعلاً. وبدرجة ما فحتى قبل أن يكون له إيمان كامل، عملاً بالقول: " *مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا* " (مت ١٠: ٨)، فقد كان مستعدًا فى الحال وبدون أنانية إطلاقًا أن ينقل إليهم ما انتفع به، مؤكدًا لهم بدون أى تردد ولمرات كثيرة، روايته للعمل المعجزى، وذلك لو أنهم قبلوا روايته بالفعل كتعليم. لذلك فهو بالتأكيد قد عبّر ــ بطريقة ممتازة ــ عن ما جاء فى الأمثال: " *هو يتكلم فى آذان الذين يسمعون* " (ابن سيراخ٢٥: ٩).

يبدو محتملاً أن هناك معنىً ما غير واضح وخفى تعلنه بطريقة غامضة كلمات هذا الرجل، وسأذكر باختصار ما هو: كان هناك بعض القادة من الذين عرفوا أن صانع العجائب الذى هو بالحق المسيح، ولكنهم إذ أخفوا معرفتهم له مدفونة (كما لو كان) فى قلوبهم، فإن غالبية رفقائهم فات عليهم ملاحظة هذا الأمر. وشاهِدنا على هذا

هو البشير الحكيم نفسه، حيث يقول إن الرؤساء عرفوا أنه هو المسيح " *ولكن لسبب الفريسيين لم يعترفوا*" (انظر يو١٢:٤٢). والبراهين على هذا ستصير أقوى أيضًا إلى حد ما عن طريق نيقوديموس الذى صرح بجراءة قائلاً لربنا يسوع المسيح: "*يا معلم، نعلم أنك قد أتيت من الله معلمًا، لأنه ليس أحد يعمل هذه الايات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه*" (يو٣:٢). لذلك، فبالتأكيد إن بعض الرؤساء عرفوا وانتشر خبر هذا خارجًا فى كل أورشليم. ومعظم اليهود ظنوا أن الرؤساء عرفوا ولكنهم قرروا ألاّ يعترفوا به خبثًا وحسدًا. وسنبين أيضًا من الكتابات الإنجيلية أن هذا أيضًا صحيح، لأن يوحنا المبارك نفسه يقول فى موضع ما أن يسوع وقف يعلّم فى الهيكل نفسه، ويشرح الأمور التى كانت تبدو ــ على الأقل بالنسبة لفهم سامعيه أنها كسر للناموس. وحينما لم يتقدم قادة اليهود بالمرة ليتصرفوا ضده، فإنهم أيضًا لم يجرؤوا حتى أن يقولوا: " يا صاحب، كف عن تعليم ما لا يتفق مع نواميسنا القديمة"، فإنهم بذلك جلبوا على أنفسهم شكًا من الجميع كما سبق أن لاحظنا على التو. لذلك مثلاً يكتب الإنجيلي، "*فقال قوم من أهل أورشليم، أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه. وها هو يتكلم جهارًا ولا يقولون له شيئًا. ألعل الرؤساء عرفوا يقينًا أن هذا هو المسيح حقًا*" (يو٧:٢٥، ٢٦). وبالتأكيد فهو بهذا يقول: " إن أولئك الذين كانوا فى وضع القادة عرفوا أنه هو المسيح حقًا؛ انظر، فرغم أن عامة الناس كانوا يظنون أنهم (أى الرؤساء) يرغبون أن يقتلوه، فهم يتكلم بجراءة عظيمة وهم لا يشجبونه بكلمات صريحة".

وهذا الظن انتشر فى كل أورشليم وسمعه الرجل الأعمى فى وقت ما، وكان هذا الظن عند هؤلاء الناس لا يزال يرن فى أذنيه. لذلك، فهو يوبخهم بلطف ــ كما يمكن أن نفترض ــ ويقول: " بالتأكيد إنكم لا تسألوننى عبثًا أن أتكلم مرة أخرى بنفس الكلمات، وأن أمدح مرة أخرى العمل المعجزى، أم أنكم فى الواقع تعتبرون الرواية متعة، متعطشين الآن لتتعلموا منه، رغم أنكم خوفًا من الآخرين، فإنكم تسمحون للجبن المرذول أن يعطلكم عن مثل هذه المعرفة التى تستحق الإعجاب".

يو٩:٢٨: "فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاك أما نحن فتلاميذ موسى".

لعلنا نرى الإنجيلى وهو يقول، لأنه يرى أولئك الذين أُعطى لهم أن يشغلوا الوظائف المقدسة غارقين فى سُبات عقلى، حتى أنهم يشتمون ما هو مُكرّم جدًا، أى التلمذة للمسيح، تلك التى عشقها بعض القديسين عن جدارة فقالوا: "*ما أحلى أقوالك لحنكى، أحلى من العسل وقرص العسل لفمى*" (مز١١٨:١٠٣س). وأيضًا قديس آخر، وكأنه يكلّم ربنا يسوع المسيح بخصوص أولئك الذين يعصونه ويقول: "*افنهم، وكلمتك ستكون لى لذة وفرحًا ولبهجة قلبى*" (إر١٥:١٦س). ولكنهم لا يعطون أى اعتبار لكلماته المقدسة ويظنون أن ذلك الذى تتلمذ للمسيح يستحق اللوم لهذا السبب وحده. وإذ يتمسكون بآرائهم، إلى هذا الحد، حتى ضد أنفسهم، فإنهم يتكلمون عن المسيح باعتباره معلّم الرجل الأعمى، وعن موسى باعتباره معلّمًا لهم. لأنه فى الحقيقة، فإن الأمم استناروا من المسيح بواسطة التعليم الإنجيلى، وإسرائيل مات فى الرموز التى أُعطيت بواسطة موسى، وصار

أعمى فى ظلال الحرف. لذلك أيضًا يقول بولس عنهم فى موضع ما: " *لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى، البرقع موضوع على قلبهم*" (٢كو٣:١٥). ولا يوجد شك أننا كنا نرسم ــ **كما فى صورة ــ تاريخ الرجل الأعمى كأنه مثال الأمم، فنصوغ الأحداث المتصلة به كما فى مثال للتعبير عن الحقيقة الخاصة بالأمم.**

كما أن احتمال التعيير لأجل المسيح هو أمر مبهج ومُكرّم جدًا؛ لأن الوسائل التى لا يستحى المضطهدون أن يستخدموها، ظانين أنهم يغيظون بها أولئك الذين يحبون الرب، تصير أسبابًا للفرح للذين يحبونه، رغم أن المضطهدين لا يعرفون ذلك. نعم، فإن أولئك الذين يضطهدون المسيحيين يجعلونهم يشعون بجمال أكثر وضوحًا، ولا ينجحون بسهولة في إيذائهم. إذن فالفريسيون المرفوضون إذ يحطون من قدر أنفسهم أكثر مما يحطون من قدر المسيح، يقولون للرجل الأعمى: " *أنت تلميذ ذاك*"، وإذ ينتفخون بكبرياء، فإنهم يقولون عن أنفسهم ــ بحماقة " *أما نحن فتلاميذ موسى*".

يو٩:٢٩ : " نحن نعلم أن موسى كلمه الله، وأما هذا فما نعلم من أين هو".

إنهم مرة أخرى، يتكلمون بجسارة وهم مسلّحون بتلك الحماقة المألوفة لديهم والعزيزة جدًا عليهم؛ وفى أقصى درجة من عدم الحياء يصيحون مرة أخرى متباهين: " *نحن نعلم*". وحينما يضيفون قائلين إن موسى كلّمه الله، فإنهم بذلك يؤكدون إن موسى استحق إكرامًا عظيمًا، ولكنهم من ناحية أخرى يشتمونه، إذ أنهم لا يراعون تعاليمه. لأنهم بجهل يدينون واحدًا لم يكونوا قد عرفوه أو بالأحرى يهينونه

بالرغم مما عرفوه عنه، رغم أن الناموس يمنعهم أن يعملوا بظلم ومشاكسة تجاه أى إنسان، وألاّ يحكموا بالمرة بمثل هذه الطريقة. إنهم مرة أخرى الآن يتكلمون بكلام من هذا النوع: " نحن نعرف أن الله قد تكلم إلى موسى، ولا يوجد أى سبب يسمح لأى واحد أن يشك فى هذه النقطة؛ فإن الله أعطى نواميس بواسطته ووضع تنظيمات عن الكيفية التى يتم بها عمل أى شئ، لذلك بالتأكيد إن من له آراء مضادة لتلك التى تكلم بها موسى فهو متعدٍ على الكتب المقدسة: وواضح أن الناموس الخاص بالسبت قد كُسِرَ لأنك قد شُفيت فى السبت: فمن العدل أن لا نعترف بمن وجدناه يفعل هذا الأمر (الشفاء)، ولذلك فهو مُدان. والآن، نحن نملك سببًا معقولاً لأن نقول إنه لم يحفظ الناموس الإلهى".

إذن فحينما يقولون عن المسيح: " *نحن لسنا نعلم من أين هو*"، فبالتأكيد هم لا يقولون هذا كأنهم يجهلون من هو أو من أين هو، لأنهم فى موضع آخر نجدهم يعترفون علنًا أنهم يعرفون كل شئ عنه: "*أليس هذا ابن النجار*" (مت١٣:٥٥) "*الذى نحن عارفون بأبيه وأمه؟ فكيف إذن يقول إنى نزلت من السماء*" (يو٦:٤٢). لذلك، بالتأكيد لا نستطيع أن نقبل قولهم هذا: "*لسنا نعلم من أين هو*" كدليل على جهلهم، بل سننظر إلى قولهم هذا على أنه ثمرة للعجرفة التى كانت فيهم. لأنهم إذ يحتقرون حكمهم السابق وكأنهم يلغونه تمامًا، فإنهم يقولون هذا التصريح عنه، لأنه من المناسب أن نفحص مجادلاتهم بدقة أكثر؛ فربما تشير كلماتهم فى الحقيقة إلى أنهم كانوا يفكرون كما يلى: فهم يقولون، " *نحن نعلم أن موسى كلّمه الله*"، لذلك

بالتأكيد ينبغي أن نصدق بلا أى تردد ما قيل بواسطته ونحفظ الوصايا المعطاة له من الله. أما هذا الإنسان فلا نعرفه، لأن الله لم يكلّمه، ولا نحن عرفنا مثل هذا الأمر عنه". ولكن الفريسيين الذين يريدون أن يكونوا حكماء فى تفكيرهم وهم يفتخرون كثيرًا بمعرفتهم للكلمة الإلهية، كان ينبغى عليهم أن يعتبروا أن الله الآب تكلم هكذا، حينما أعلن بواسطة موسى الحكيم جدًا عن مجيء يسوع فى المستقبل: " *أقيم لهم نبيًا من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذي يتكلم به باسمى، أنا أطالبه*" (تث١٨:١٨، ١٩).

ويقينًا فإن أى إنسان كان سيوبخ اليهود لسبب معقول ويقول: أيها الذين تعرفون فقط أن لا تؤمنوا، فلو انكم كنتم مستعدين حقًا للإقتناع بكلمات موسى، لأن الله كلّمه، أمّا كان ينبغى أن تؤمنوا بالمسيح بنفس الطريقة، حينما تسمعونه يعلن جهارًا: " *الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى، بل للآب الذى أرسلنى*" (يو١٤:١٠، ٢٤)، وأيضًا: " *لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم*" (يو١٢:٤٩). لذلك فبالتأكيد فإن كلمات الفريسيين هى مجرد ذريعة، وهى نوع من التفكير الخيالى الباطل.

لأنهم إن قالوا إنه ينبغى بالحرى أن يتبعوا موسى لسبب أن الله كلّمه، فلماذا لا يفكرون بنفس الطريقة بخصوص المسيح، وهو يقول بوضوح ما سبق أن ذكرناه على التو؟ ولكنهم بينما هم يكرّمون الناموس جزئيًا، ويدّعون أنهم يلتزمون بإرضاء الله باحترام شديد، فإنهم من ناحية أخرى يكسرون الناموس ويهينونه بشدة برفضهم أن

يقبلوا كرازته بخصوص عصرهم الذى أُعلن عنه بواسطة الناموس فيما يختص بالمسيح، أى عن طريق تجسده سيظهر فى رتبة نبى.

يو٩:٣٠ : " أجاب الرجل وقال لهم، إن فى هذا عجبًا إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عيني " .

(يقول)، إنى مندهش تمامًا بحق أنكم تقولون إنكم لا تعرفون ذلك الذى شهد له بمثل هذه القداسة، **وبواسطة القوة الإلهية التى ظهرت فى أعماله**، ومع ذلك يُفترض فيكم، أنكم تعطون التفاتًا شديدًا لتعليم الله وتخدمون الناموس وتجعلون الكلمات المقدسة هى لذتكم العظيمة، وتملكون السلطان الأكبر بين الناس وبنوع خاص يُتوقع منكم أن تعرفوا من هم المعلّمون الصالحون. لأنه من هو الذى ينبغى أن يعرف بصواب أولئك الذين يعملون معجزات بقوة الله، إن لم يكن أولئك الذين أُقيموا ليخدموا الأمور المقدسة والذين قد وضع عليهم مسئولية الأسرار المكرّمة ؟ وبقوله إنه مندهش أنهم يجهلون تمامًا ما يخص الآية الإلهية العجيبة والغريبة جدًا التى أُجريت معه، فإن الرجل بطريقة غامضة يوبخهم ضمنيًا مُلمحًا أنهم بعيدون جدًا عن التقديس وما هو ملائم للتقوى، حتى أنهم اعترفوا هم أنفسهم بدون خجل أنهم يجهلون تمامًا ذلك الذى هو قدوس بالحق، أى المسيح.

فدعنا نكتشف ما نؤمن أنه كان مخفيًا. فإن كان صحيحًا ما قيل حسنًا فى موضع ما: " *كل حيوان يحب شبهه وكذلك الإنسان يلازم مثيله* " (يشوع ابن سيراخ ١٣:١٥، ١٦)، فكيف إذن إن كانوا قديسين وصالحين ينقلبون ويرفضون أن يلازموا ذلك الذى كان قدوسًا وصالحًا. لذلك بالتأكيد، فإن ما قيل هو محمّل بتوبيخ سياسة

الفريسيين اللعينة وسلوكهم. لأني أظن أن الدارس المجتهد الذي يكرّس انتباهه لمثل هذه التعبيرات، سوف يدرك بأكثر وضوح ما الذى يبدو خفيًا فى كل منها. إذن، ما هو هذا الخفى؟

كانت هناك إشاعات كثيرة فى كل اليهودية عن مخلصنا المسيح، ولكنهم كانوا يتكلمون عنه كنبى فقط. لأنه هكذا تنبأ الناموس أنه سوف يأتى قائلاً: "*يقيم الرب إلهنا نبيًا من بين اخوتك*" (تث١٨:١٥)؛ ومع ذلك كانوا يأملون أنه حينما يظهر فى وقته المناسب، فإنه سوف يعرفهم بأمور أعلا من الناموس، وبكشفه لهم القصد الحقيقى تمامًا لمعطى الناموس، فإنه سوف يعلّمهم بطريقة أفضل. وإنك لن تتعجب أنه كان يوجد مثل هذا الرجاء وهذا الفكر بين اليهود، بينما كان نفس هذا الفكر منتشرًا فى الخارج حتى بين الشعوب الأخرى. فمثلاً، حتى المرأة السامرية قالت: "*نحن نعلم أن المسيا الذى يُقال له المسيح سوف يأتى، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ*" (يو٤:٢٥). لذلك، فإن اليهود كانوا يعرفون بوضوح أكثر أن المسيح سوف يأتى (لأن هذا هو ما تعنيه كلمة المسيا)، وسيفسر لهم مشورة الله العالية جدًا؛ وأيضًا أنه سوف يفتح أعين العميان كما أُخبِرَ عنه بواسطة إشعياء الذى يقول بوضوح: "*تتفتح عيون العمى*" (إش٣٥:٥). ولكن كان هناك أيضًا فكر آخر سائدًا فى أورشليم، فكما يتكلم النبى إشعياء عن ابن الله الآب الذى يفوق الإدراك، على أنه يظل غير معروف قائلاً: "*وجيله من يخبر به*" (إش٥٣:٨). فاليهود هنا أيضًا إذ يشوهون معنى الكلمات بحسب أفكارهم الخاصة، تصوروا أن المسيح سيكون مجهولاً بالمرة، ولن يعرف أحد أيًا كان من أين يأتى. رغم أن الكتب

المقدسة تؤكد لنا بكل وضوح عن ولادته بالجسد، ولذلك تصرح: " *هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا* " (إش٧: ١٤). ويمكن أن نرى بسهولة أن ذهن اليهود فى هذا الأمر أيضًاكان غير متعلم بخصوص فهم الحقائق الأساسية، حينما افترضوا أن المسيح سيكون غير معروف، وهذا نعرفه مما أعلنه الإنجيلى المبارك يوحنا موضحًا الأمر بخصوصه عند حديثه إليهم عن أورشليم: " *فقال قوم من أهل أورشليم، أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه، وها هو يتكلم جهارًا ولا يقولون له شيئًا. ألعل الرؤساء عرفوا يقينًا أن هذا هو المسيح؟. ولكن هذا نعلم من أين هو. أما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو* " (يو٧: ٢٥ـــ٢٧).

وبينما يضع اليهود مثل هذه الأفكار عن المسيح بطريقة منافية للعقل، فإن الرجل الذى كان أعمى يصيغ أفكارًا صحيحة عنه. إذ أنه بسرعة، يتخذ أدلة من العمل المعجزى، ويمسك بكلمة الفريسيين أنفسهم فى إثباته لتفكيره الخاص، لأنه يقول، " *إن فى هذا عجبًا* "، " *إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينى*". وهو يقول، عندى برهانان واضحان جدًا على أنه هو المسيح، فأنتم "*لا تعلمون من أين هو*" (يو٧: ٢٦، ٢٧)، ولكن مع ذلك " *هو قد فتح عينى*". لذلك بالتأكيد فإن هذا هو ـــ بكل وضوح ــ الذى سبق الناموس فأخبر عنه، وأيضًا شُهِدَ له بواسطة صوت الأنبياء.

يو٩:٣١ : " ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة، ولكن إن كان أحد يتقى ويفعل مشيئته فلهذا يسمع" .

وإذ أظهر مسرته بالشهادات التى قدمها الأنبياء والناموس على

أنها قد تحققت الآن: فى أن المسيح لا يُعرَف من أين يأتى، وفى أن عيني الأعمى قد انفتحت، ويجمع لنفسه من كل ناحية ما يساعد إيمانه، وهكذا يكشتف شيئًا آخر أيضًا. فإذ يبدأ من المبادئ الأساسية والمعترف بها، ويظهر كانه يسأل عن ما هو نافع وملائم، فإنه يبنى ما يمكن تسميته بأنه قطعة من التفكير الذى يرضى الله. لأنه يقول، إن الله الذى يحب البر والفضيلة لا يسمع لأولئك الذين يحبون الخطية، وبالتاكيد فإن هناك أساسات طيبة لمثل هذا التفكير؛ وإذ يضع هذا (التفكير) كأساس لا يُناقش ومُعترف به بشكل عام، فإنه يقدم الحقيقة المضادة، التى هى صحيحة، والتى لا يناقضها أحد فى أى مكان، وأعنى طبعًا أنه فى كل مكان وفى كل وقت، فإن رب الكلّ يسمع لأولئك الذين يعيشون بالتقوى. رغم أن النتيجة التى تُستخلص كان يقصد بها الإشارة إلى المسيح وحده، إلاّ أنها قد صيغت بطريقة وكانها تشير إلى مبدا عام وشامل. لأنه كما سبق أن أشرت، فإن الرجل الذى كان اعمى كان إدراكه عن المسيح ناقصًا، ولم يكن قد عرفه تمامًا أنه إله بالطبيعة؛ وهكذا فهو يفكر ويتكلم عنه كنبى، ينسب إليه التقوى بلا لوم: ولكن هذا لا يتناسب مع المسيح بالمرة، لأنه هو بالطبيعة إله، وهو الذى يتقبل عبادة الأتقياء كذبيحة روحية.

يو٩:٣٢ : " منذ الدهر لم يُسمع أن أحدًا فتح عينى مولود أعمى".

وإذ كان مهتمًا جدًا ــ فيما يبدو ــ وحزينًا بسبب شتائمهم ضد المسيح، حتى أنه اغتاظ فوق الطاقة بسبب أنهم قالوا باحتقار " *أنت تلميذ ذاك أما نحن فتلاميذ موسى*"، فقد كان يتوق أن يتحدث مدافعًا عن معلّمه؛ ولذلك فإنه يعقد مقارنة بين أعمال موسى وبين اعمال

مخلصنا الباهرة، مبينًا أنه بقدر ما هو أعظم فى عمل المعجزات بقدر ما يكون هو أفضل. ففى الواقع، أليس أمرًا طبيعيًا أن من ينجز عملاً أعظم ينبغى على كل حال أن يكون أرفع فى المجد؟ بالتأكيد إن هذا أمر لا شك فيه. وفى نفس الوقت فإنه ربما يعنى شيئًا من مثل هذا النوع، **فبينما هناك نبوة قديمة جدًا تخبر عن مجيء المسيح هكذا:** " ***حينئذٍ تنفتح عيون العمى*** " (إش٣٥: ٥)، **ولم يسبق أن أحد أثار اندهاشًا بفعله مثل هذه المعجزة؛ والآن قد تحققت هذه النبوة بواسطته، وبواسطته هو وحده**، وهو الذى لا تترددون أنتم أن تدعوه خاطئًا (وأنا لا أعلم لماذا تفعلون هكذا). وإضافة إلى ذلك، رغم أن جمعًا كبيرًا من الأنبياء القديسين وعددًا لا يُحصى من الرجال الأبرار يجرى التحدث عنهم ويُذكرون فى الكتب المقدسة، إلاّ أنه " *منذ الدهر لم يُسمع أن أحدًا فتح عينى مولود أعمى* ". لذلك أليس أمرًا أكيدًا أن الذى يتمم ما أخبر به الأنبياء، فهذا هو المسيح، وهو الذى يحقق بطريقة شاملة وكاملة، الأمور التى بُشر بها منذ القديم؟ لأنه إن لم يكن هناك أحدٌ غيره يفتح أعين العميان، فما الذى سوف يقف فى طريق الإيمان إذن؟ وما الذى سوف يبعدنا عن قبوله؟ وإذ نطرح كل شك جانبًا، فكيف يمكن أن نفشل فى البلوغ ـ بأسهل وسيلة ـ إلى سر معرفته؟

فبهذه الكلمات أيضًا، فإن الرجل الذى شُفِىَ، يتحدث مدافعًا عن المسيح المخلص. ونلاحظ كيف يربط معًا مجادلاته بذكاء. لأنه فى الواقع، من الصراحة والجرأة أن يُقال إن المسيح أفضل من موسى والأنبياء، وأكثر مجدًا منهم، ولكن كان من المعقول الافتراض أن

الفريسيين الشديدى الاهتياج سوف يتظاهرون ـــ أنهم يدافعون عن القديسين الذين أُهينوا، ولكانوا قد وجدوا مبررًا مناسبًا لمعاقبة ذلك الرجل، لكي لا يعيش ويُنظر إليه كدليل على مجد المسيح وكبرهان على سلطان المسيح الإلهي.

ولذلك، فهو إذ يتحاشى بحكمة، الغضب الذى يمكن أن يحدث، وإذ هو لا يعطى العذر لأفكارهم القاتلة لكي تصل إلى هذه الغاية، فهو يحوّل اتجاه الجدل إلى ما هو عام وغير محدد، قائلاً: " *منذ الدهر*"، فإن ما أجراه المسيح معه، لم يكن قد فعله أى شخص آخر، وهذا ليس شيئًا آخر سوى إظهار أن المسيح هو يقينًا، أعظم وأكثر مجدًا من الجميع، حيث إنه أظهر بأفعاله بأنه يملك مثل هذه القوة وهذا السلطان، كما لم يسبق أن ملكه أى واحد من القديسين. وهكذا، فهو يكلّل طبيبه (المسيح)، بكرامة فائقة من كل ناحية، مبررًا ذلك العمل العجيب الذى لم يسبق أن عمله أحد قبل ذلك أو حاول أن يعمله، وأعنى به إزالة العمى.

يو٩:٣٣ : " لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئـًا ".

ذلك الرجل الذى نال البصر، وقد أُنقذ بطريقة إعجازية من عماه القديم، كان أسرع فى إدراكه للحق من أولئك الذين تتلمذوا للناموس، فلتنظر، وتنظر، كيف أنه بمجادلات كثيرة جدًا وحكيمة يبين حقارة رأى الفريسيين التامة. لأنهم حينما قالوا بطريقة سخيفة عن المسيح: " *أما هذا فلا نعلم من أين هو*"، فهو يجيبهم موبخًا إياهم بشدة على فكرهم غير المنصف، حينما ينكرون أى معرفة عن ذاك الذى أجرى مثل هذه المعجزات، إذ أنه واضح للجميع أن ذاك الذى ليس من الله

ليست له القدرة أن يفعل أى عمل من تلك الأعمال التى تتحقق فقط بالقدرة الإلهية. لأن الله يعمل مثل هذه الأعمال فقط بواسطة القديسين، وهو لن يمنح القدرة للغريب الذى لم يكن قد دخل بعد فى طريق الله، حتى يفتخر بمثل هذه الأمجاد. وإلاّ فدع الفريسيين الذين صُعقوا، يتقدمون ويقولون، ما هو إذن الفرق عند الله بين المقدس والنجس، بين البار والخاطئ، بين الكافر والتقى. لأنه إن كان الله يهب القدرة بالتساوى لكل واحد لكى يصير فى مجد بنفس الوسائل، فعندئذٍ لن يكون هناك أى فرق، بل إن كل الأمور ستصير مختلطة معًا، وسوف نبارك عندئذٍ على القول المكتوب: " *كيف يكون من المناسب أن نعبده، وما المنفعة من الاقتراب إليه*" (أى٢١: ١٥س). لأنه كما قال أحد الشعراء اليونانيين: " الذى يبقى فى البيت له نفس النصيب مثل الذى يحارب بشجاعة". والشر والخير سوف تكون لهما كرامة متساوية، أفلا يكون اختبار الصعاب المُرة من أجل الفضيلة أمرًا لا نفع له؟ ولكننا نعتبر أن هذه الأشياء هى هكذا، ولماذا؟ لأنه يقول: " *فإنى أكرم الذين يكرموننى، والذين يحتقروننى يُحتقرون*" (١صم٢: ٣٠س).

لأنى سأسأل الفريسيين المُغترّين بأنفسهم إن كان الله بدون تمييز يعمل مثل هذه الأعمال حتى بأيدى الخطاة، فلماذا لم يعمل سحرة مصر نفس الأشياء التى عملها موسى العظيم؟ فلماذا لم يستطيعوا أن يعملوا أعمالاً عجيبة مساوية ويفوزون بنفس المجد الذى له؟ ولكنك ستقول إن عصا موسى حينما سقطت على الأرض صارت ثعبانًا، وعصى السحرة صارت هكذا بطريقة مماثلة. ونحن نجيب أن

عصيهم لم تتحول إلى حيات بل هى خدعة ظهرت للناس فى شكل حيات فظنوها هكذا؛ فإن عملاً سحريًا معينًا جعل عصيهم تبدو كحيات، أما عصا موسى فقد تحولت حقيقة إلى حية وفى الحال حصلت على طبيعة ذلك الوحش. وسوف ترى من التمييز الموجود فى الكتب المقدسة أن ما قد قلته هو صحيح. لأن عصا موسى ابتعلت عصيهم: حيث إن عصى السحرة كانت لها الهيئة الخارجية للحيات، أما عصا موسى فكانت لها حقيقةً طبيعة الحية حسبما ظهرت. ما أثار الغضب أن العصا لم تعد تبدو مثل عصا بل مثل كائن حي، وابتلعتهم بقوة غير عادية تفوق قوة أية حية، وقد جعل الله مثل هذا الأمر الصعب سهلاً عليها.

وأيضًا فليخبرنى الفريسى، هؤلاء السحرة الذين جعلوا عصيهم تأخذ الشكل الخارجي للحيات، لماذا لم يجعلوا اليد البرصاء تصير طاهرة، بل اعترفوا صراحة فى يأس: " *هذه هى أصبع الله*" (خر٨: ١٩)؟ أخبرنى لماذا لم يُنزِل كهنة البعل نارًا من السماء بينما أنزلها إيليا؟ هل أعمال الله إذن تتميز بمحاباة الأشخاص؟ حاشا لله؟ **بل لأنه بار ومحب للأبرار، فهو يعمل معجزاته التى ينعم بها، بواسطة القديسين، ولكنه لا يفعلها بأى حال بواسطة الأشرار**. لذلك، فلسبب واضح، فإن الرجل الذى كان أعمى يوبخ ثرثرات الفريسيين الوقحة ويتهمهم بأن رأيهم خاطئ عندما يقولون إنه ليس من الله، ذلك الذى نشهد أن له الطبيعة الإلهية بسلطانه على عمل المعجزات.

يو٩:٣٤ : " أجابوا وقالوا له، فى الخطايا وُلِدت أنت بجملتك، وأنت تعلمنا؟ فأخرجوه خارجًا ".

يصعب على معظم الناس أن يقبلوا جروح التوبيخ، وما يصاحبها من محاولة تصويب الخطأ. فالحكماء، يرحبون بها بالتأكيد ويجدونها حلوة، حيث إن لها نفعًا كثيرًا، وهى تجعلهم فى حال أفضل، رغم أنها قد تحمل معها لدغة مؤلمة. أما بالنسبة لأولئك الذين يحبون الخطية، فهذه الجروح مُرة. ولماذا هى هكذا؟. لأنهم إذ يثبّتون ذهنهم على اللذات الوضيعة فإنهم يبتعدون بعيدًا عن كل تحذير يسبب لهم غيظًا. ويعتبرون أن التحول عن لذاتهم، خسارة. فهم لا يعطون أية قيمة لما هو مفيد حقًا. لأنه كما أن أولئك الذين يسقطون من على ظهر السفينة ويحملهم تيار النهر، لا تكون لهم القدرة الكافية لمقاومته، ولأنهم يظنون أنه من الخطير أن يسبحوا ضد اتجاه الأمواج، لذلك فهم يُحمَلون بواسطة التيار. وهكذا أظن أن هؤلاء الرجال الذين كنا نتكلم عنهم منذ قليل، إذ قد انغلبوا من طُغيان لذاتهم الخاصة، فإنهم يسمحون لتلك اللذات أن تندفع بدون تلجيم، ويرفضون أن يقدموا أية مقاومةٍ لها. لذلك، فإن الفريسيين التعساء لم يستريحوا لكلام الرجل الذى كان أعمى، وصرخوا مثل وحوش مفترسة ضد ذاك الذى عرض عليهم، وأطلقوا العنان لأقصى درجات الغضب المجنون، وشتموه مخالفين الناموس. وإذ رجعوا إلى تشامخهم الملازم لهم، قالوا إن الرجل الأعمى وُلِدَ فى الخطايا، وهكذا يؤكدون على الضلالات اليهودية، وبجهل، يساندون عقيدة ليست صحيحة بالمرة.

فالإنسان لا يُولد أعمى، ولا يُولد بأية عاهة جسدية أخرى لسبب يرجع إليه هو، أو إلى أبويه. وإضافة إلى ذلك، فإن الله لا يفتقد خطايا

الآباء في الأبناء. وإني أرى اننا قد اوضحنا هذا الأمر بتفصيل كثير وبمهارة ليست قليلة، حينما كان علينا أن نشرح الكلمات: " *يا معلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى وُلِدَ أعمى؟*" (انظر يو٩:٢). فحيث إن الرجل الذى وُلِدَ أعمى عرف كيف يدحض الفريسيين، لذلك فهو لم يُشتَم فقط بل أخرجوه خارجًا أيضًا. وهنا أيضًا تعرف أن ما حدث يشير إلى الأمر التالي: لأن شعب إسرائيل كانوا سنفرون تمامًا من الممين على أنهم مملؤون بالخطايا، وهذا (النفور) ينتج من تحامل ظالم، وهو ما يمكن أن نعرفه مما قاله الفريسيون لذلك الرجل. وهم طردوه خارجًا، مثلما يطرد اليهود هؤلاء الذين يدافعون عن تعليم المسيح.

يو٩:٣٥ : " وسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجًا " .

يقول البشير المُوحى إليه، إن ربنا يسوع المسيح "سمع"، وهو لا يقصد بالتأكيد أو بالضرورة أن أى أحد أوصل هذا الخبر إليه، بل كما يقول أحد الحكماء فى موضع ما: " *روح الرب يملأ المسكونة، وأذن السمع تسمع كل الأشياء*" (حكمة١:٧، ١٠). وبالتأكيد أنه يسمع كما يقول المرنم: " *الذى غرس الأذن ألاّ يسمع؟ والذى صنع العين ألاّ يبصر؟*" (مز٩٣:٩س). لذلك حينما نتعرض للإهانة من أجله، أو نحتمل أى شئ مؤلم من أولئك الذين اعتادوا أن يحاربوا الله، فيجب أن نؤمن أن الله ينظر ويراقب بكل تاكيد، وأنه يستمع إلى كلام المحاكمة ضدنا: لأن طبيعة الحدث نفسها، وإخلاص الذين يُهانون لأجله يصرخان بصوت عالٍ فى الآذان الإلهية.

يو٩:٣٥ " فوجده وقال له أتؤمن بابن الله " ؟ .

الرجل الذى كان أعمى طرده الفريسيون خارجًا، وبعد قليل من طرده، بحث عنه المسيح، وحينما وجده أدخله إلى الأسرار (Μυσταγωγι). إذن، فهذا أيضًا سيكون علامة لنا أن الله يحفظ فى فكره الذين يريدون أن يشهدوا عنه، والذين بسبب ثقتهم فيه لا يتجنبون الخطر. فها أنت تسمع كيف يُظهر (المسيح) نفسه وكأنه يعطى مكافأة حسنة، وهو يسرع لكى يغرس فيه الكمال الأعلى للإيمان. وهو يقترح عليه السؤال لكى يحصل منه على الموافقة (على الإيمان به). **فإن هذه هى طريقة كشف الإيمان.** وهكذا أيضًا الذين يأتون إلى المعمودية الإلهية، فإنهم قبل المعمودية وأثناء فترة الاستعداد يُسألون بخصوص إيمانهم، وحينما يوافقون ويعترفون بالإيمان، فإننا فى الحال نُدخلهم كأُناس لائقين للنعمة. لذلك، فمن هنا تبرز دلالة هذا الحدث بالنسبة لنا، وقد تعلّمنا من مخلصنا المسيح نفسه كيف أنه أمر صائب أن يتم إقرار الإيمان هذا. وهكذا أيضًا فإن بولس الرسول المُوحى إليه، أكد أن (تيموثاوس) "*اعترف الاعتراف الحسن أمام شهود كثيرين*"، (١تى٦:١٢) ويقصد بهم الملائكة القديسين: وإن كان أمرًا مرعبًا أن يزيف الإنسان أمام الملائكة الكلام الذي يُقال، فكم يكون مرعبًا بالأكثر أمام المسيح نفسه؟

هو (المسيح) يسأل الرجل الذى كان أعمى ليس فقط إن كان يريد أن يؤمن، بل أيضًا يحدد من هو الذى يؤمن به. لأن الإيمان ينبغى أن يكون بابن الله، وليس إيمانًا بإنسان مثلنا، بل بالله المتأنس. ويقينًا فإن هذا هو ملء السر الخاص بالمسيح. وبقوله "أتؤمن"؟ فكأنه يقول: "هل تظهر نفسك أسمى من جنون أولئك الناس؟ هل ستبتعد عن كفرهم

وتقبل الإيمان؟"، فإن التشديد على ضمير المخاطب "أنت" يتضمن بطريقة ما مثل هذا الاختلاف الواضح بينه وبين الأشخاص الآخرين.

يو٩:٣٦ : " أجاب ذاك وقال، من هو يا سيد لأؤمن به ؟" .

النفس التى تملك ذهنًا سليمًا وتبحث باجتهاد عن كلمة الحق بعيون ذهنها الحرة، فإنها تتجه باستقامة إلى كلمة الحق بدون ارتباك، مثل سفينة تدخل الميناء، وتحصل دون تعب على منافعه من منافذه. وهكذا أيضًا فإن الرجل الذى كان أعمى هو نفسه سيكون برهانًا على ما قلناه. لأنه حينما أُعجب بالسر الذى للمسيح بواسطة الأفكار والمناقشات الكثيرة وأيضًا حينما ذُهل بدهشة عظيمة من قدرته التى لا يُعبّر عنها، والتى قد اختبرها ليس بواسطة شخص آخر، بل بواسطة نفسه وفى نفسه؛ فإنه هكذا قد صار مستعدًا أن يؤمن؛ وهو يفعل ذلك بدون تأخير. لأنه ها هوذا ها هوذا يسأل باجتهاد من هو الشخص الذى ينبغى أن يوجه نحوه إيمانه الذى كان قد نشأ داخل نفسه. لأنه هذا فقط هو ما كان ينقصه، وهو كان مهيئًا سابقًا لهذا الإيمان، كما قلنا.

يو٩:٣٧ " فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو " .

عندما سُئِلَ يسوع، من هو الذى ينبغى الإيمان به، فإن يسوع أشار إلى نفسه، ولم يقل ببساطة "هو أنا"، بل بقوله إن الشخص الذى كان يراه المولود أعمى، والشخص كان يتكلم معه، هو ابن الله؛ فإنه بكل طريقة يفكر مقدمًا فيما هو لمنفعتنا، وهو يؤسس ــ بطرق متنوعة ــ ما يساعدنا على الوصول إلى إيمان سليم وخالٍ من أى خطأ، إيمان

غير منحرف، لئلا بينما نحن نظن فى أنفسنا أننا أتقياء، فإننا قد نسقط فى شِراك شبكة الشيطان، بالتحول بحماقة بعيدًا عن حقيقة السر. لأنه يوجد الآن بعض من أولئك الذين يظنون أنفسهم مسيحيين، وهم لا يفهمون تدبير الجسد (التجسد) بدقة، وقد تجاسروا أن يفصلوا ذلك الهيكل المأخوذ من امرأة لأجلنا، عن الله الكلمة. وقد قسّموا ذاك الذى هو بالحقيقة ابن واحد إلى ابنين، وذلك بسبب أنه صار إنسانًا. لأنهم بغباء شديد ينفرون من الاعتراف بما لم ينفر الابن الوحيد نفسه من أن يفعله من أجلنا. لأنه، كما هو مكتوب: " *لأنه إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون مساويًا لله، بل أخلى نفسه آخذًا صورة عبد*"(فى٢:٦،٧)، لكى يصير إنسانًا مثلنا، ولكن بلا خطية: ولكنهم فى آرائهم الغريبة يعيبون ــ بطريقة ما ــ على قصده الإلهي المملوء محبةً للبشر. وإذ يفصلون الهيكل المأخوذ من امرأة ــ بعيدًا عن البنوة الحقيقية بأقصى ما يستطيعون فى أفكارهم، فإنهم لا يقبلون اتضاعه، ويفكرون تفكيرًا بعيدًا تمامًا عن الحق؛ فهم يقولون إن الابن الوحيد لله الآب ــ أى الكلمة المولود من جوهره ــ هو شخص آخر غير الابن المولود من امرأة.

فحينما يعلن الكتاب المُوحى به أن الابن والمسيح هما واحد، أفلاّ يكونون مملوئين من كل كفر أولئك الذين يفصلون إلى اثنين ذاك الذى هو ابن واحد حقًا؟. **فلأنه هو الله الكلمة، لذلك نفكر فيه على أنه متميز عن الجسد. ولأن له جسد، لذلك نفكر فيه على أنه متميز عن الكلمة. ولكن لأن الكلمة الذى من الله الآب صار جسدًا، فإن الاثنين لا يظلان متميزين، وذلك بسبب اتحادهما واتصالهما الذى يفوق**

التعبير. لأن الابن هو واحد فقط قبل اتحاده بالجسد وحينما جاء بالجسد ـــ ونقصد بلفظة الجسد الإنسان بكليته، وأعنى أنه مُكون من نفس وجسد. لذلك على هذا الأساس، بشكل أكيد، فإن الرب بكشفه السابق العظيم للأمور، حينما سُئل: "من هو ابن الله"؟ لم يقل "هو أنا"، لأنه ربما كان ممكنًا للبعض حينئذٍ أن يفترضوا أن الكلمة وحده الذى أشرق من الله الآب، هو المقصود بهذه العبارة، **ولكنه أظهر نفسه بذات الطريقة ـــ التى تبدو بالنسبة للبعض موضع شك ـــ بقوله "قد رأيته"، وأيضًا أوضح بذلك أن الكلمة نفسه كان ساكنًا فى الجسد بأن تكلم أيضًا وأضاف:** " *والذى يتكلم معك هو هو*". لذلك فأنت ترى أية وحدة يملكها الكلمة، لأنه لا يضع أى تمييز بل يقول إنه **هو نفسه هو الذى يقدّم ذاته للعيون الجسدية وهو نفسه أيضًا الذى يُعرف بواسطة الكلام.** لذلك، فإنه بالتأكيد جهل مطبق وكفر أن يُقال ـــ مثلما يقول البعض بتهور: "يا إنسان المسيح". لأنه بسبب كونه الله إلاّ أنه قد صار إنسانًا دون أن ينفصل عن ألوهيته؛ وهو الابن أيضًا بالجسد: فإنه فى هذه الأمور يوجد أكمل اعتراف ومعرفة عن الإيمان به.

يو٣٨:٩ " فقال أومن يا سيد . وسجد له " .

ذلك الإنسان الذى كان أعمى، أسرع ليقدم اعترافًا، أى من جهة إيمانه، وهو حار فى التقوى. وحينما عرف أن ذلك الشخص الحاضر معه والذى يراه بعينيه هو بالحقيقة الابن الوحيد الجنس، فإنه سجد له كإله، رغم أنه كان يراه بالجسد بدون المجد اللائق بالله حقًا. ولكن لأن قلبه قد استنار بحلول قوة المسيح وسلطانه فيه، فإنه يتقدم نحو الأفكار الحكيمة والصالحة بتفكير حسن، وينظر جمال طبيعته الإلهية

التى لا يُعبّر عنها؛ لأنه لو لم يكن قد آمن أنه الله لما كان قد سجد له، وقد أعده الرب لكى يفكر هكذا بتأثير ما حدث له، أى العمل المعجزى العجيب الذى تم معه.

وحيث إننا حوّلنا كل الأمور المتصلة بالرجل الأعمى إلى ما سيحدث مع الأمم، فهيا بنا الآن نتحدث مرة أخرى عن هذا الأمر. فأرجو أن تلاحظوا كيف أن المولود أعمى يسبق ويصوّر مقدمًا نموذجًا للسجود بالروح الذى كان الأمم مدعوين إليه بإيمانهم بالمسيح. لأنه كان من عادة شعب إسرائيل أن يخدم رب الكلّ بحسب أوامر الناموس، بذبائح عجول وبخور، وبتقدمات حيوانات أخرى؛ **أما المؤمنون من الأمم فلا يعرفون هذا الأسلوب فى العبادة بل تحولوا إلى الطريق الآخر، أى الأسلوب الروحانى،** الذى يقول الله إنه حقًا عزيز عنده وحلو لديه بنوع خاص. لأنه يقول: "*لن آكل لحم الثيران، ولن أشرب دم التيوس*" (مز ٥٠: ١٣س). وهو يحثنا على ما هو أفضل أى أن نقدم ذبيحة التسبيح، أى العبادة بالترتيل، ونحتفل بما يراه المرنم بالإيمان فى الروح القدس عن ما ستفعله الأمم ويقول، كما لو أنه يوجه الحديث إلى ربنا ومخلصنا: "*كل الأرض ستسجد لك، وسوف ترنم لك، وسوف يرنمون لاسمك*" (مز ٦٥: ٤س). بل إن ربنا يسوع المسيح نفسه يبين أن العبادة الروحية أفضل من العبادة الناموسية، حينما يقول للمرأة السامرية: "*فقال لها يسوع: يا امرأة صدقينى، تأتى ساعة؛ لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب... ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين*

له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو٤: ٢١،٢٣،٢٤) .

وإن كنا نفكر بطريقة سليمة، فإننا سوف نعرف أن الملائكة القديسين أيضًا يتميزون بهذا النوع من الخدمة، مقدمين لله مثل هذه العبادة كنوع من التقدمة الروحية. فمثلاً، حينما أعطى الروح أمرًا للساكنين فى الأعالى أن يقدموا التكريم اللائق لله إلى البكر والابن الوحيد، يقول: " *ولتسجد له كل ملائكة الله*" (تث٣٢: ٤٣س، عب١: ٦) وأيضًا فإن المرنم الإلهى يدعونا أن نفعل هذا قائلاً: " *هلم نسجد ونجثو أمام الله*" (مز٩٤: ٦س). ولم يكن من الصعب أن نعالج هذا الأمر باستفاضة، ولكننا إذ نضع نهاية مناسبة لكلماتنا، فإننا سنتوقف حاليًا عن تقديم أية مناقشات أخرى، سوى أننا سنكرر مرة أخرى أن الرجل الذى كان أعمى يتمم بطريقة تستحق الإعجاب، مثالاً لعبادة الأمم، جاعلاً سجوده تعبيرًا ملازمًا لاعترافه بالإيمان.

يو٩:٣٩ " فقال يسوع لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون " .

حينما يشرح المسيح ــ بصوت إشعياء ــ سبب ظهوره فى هذا العالم، فإنه يقول " *روح الرب علىّ لأنه مسحنى: أرسلنى لأبشر المساكين لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر*" (إش٦١: ١س). وأيضًا يقول فى موضع آخر " *أيها الصم اسمعوا أيها العمى انظروا لتبصروا*" (إش٤٢: ١٨). فإن كان يقول إنه لهذا السبب اختاره الله الآب لكى ينادى للعمى بالبصر، فكيف يقول هنا: " *لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، لكى يبصر الذين لا*

يبصرون ويعمى الذين يبصرون"؟ فربما يقول أحدهم " إذن، هل المسيح خادم للخطية " بحسب لغة بولس؟ حاشا، لأنه جاء ليتمم قصده الصالح من نحونا، هذا القصد الذى قصده مسبقا، أى لينير كل الناس بمصباح الروح (القدس). ولكن اليهود بسبب أصرارهم على عدم الإيمان لم يقبلوا النعمة المُشرقة عليهم، فحكموا على أنفسهم بظلمة إختاروها لأنفسهم. لأنه مكتوب عنهم فى كتب الأنبياء بينما كانوا ينتظرون نورًا أتى عليهم ظلام. وإذ ينتظرون ضياء ساروا فى ظلام دامس. لأنه إذ كان هو آتيًا بحسب إعلان الناموس، فإن اليهود كانوا ينتظرون الضياء والنور، أى المسيح. لأنهم قبلوا الحقيقة الخاصة بمجيئه وكانوا ينتظرونه، ولكنهم وهم يظنون فى أنفسهم أنهم أتقياء فى هذا الأمر، فإنهم كانوا يسيرون فى الظلام الدامس، أى فى ظلمة عميقة. ولم يكن هناك سبب آخر يجعلهم يعانون من الظلمة التى أتت عليهم سوى أنهم بعدم إيمانهم جلبوا الألم على أنفسهم. فهو يقول: إنى جئت لأعطى البصر للعميان عن طريق إيمانهم (بى)، ولكن عناد وقساوة الفريسيين التى لا تليق، وعدم إيمانهم جعلت مجئ واهب النور أن يصير بالنسبة لهم مجيئًا للدينونة.

فلأنهم لم يؤمنوا، لذلك فإنهم يُدانون. وهذا ما قاله المخلص بوضوح أكثر وبكلمات أخرى: " *الحق الحق أقول لكم.. الذى يؤمن بالابن لا يُدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن بابن الله الوحيد*" (يو٣:٣، ١٨).

لذلك، فإنها مناسبة جميلة أن يذكر المسيح هذا فيما يتصل بهذه الحادثة التى أمامنا (أى فتح عيني الأعمى)، لأنه يجعل هذا العمل

الذى أجراه بمعجزة على الرجل الأعمى، هو أساس حديثه: لأنه يعلن أن هذا الرجل قد نال البصر ليس من جهة الجسد فقط بل أيضًا من جهة الذهن لأنه قد قَبِلَ الإيمان. أما الفريسيون فقد أصابهم العكس تمامًا، لأنهم لم يبصروا مجده، رغم أن مجده كان مضيئًا بأشد وضوح فى ذلك الفعل العجيب الذى كان عظيمًا جدًا وجديدًا تمامًا.

يو٩:٤٠ : " فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له ألعلنا نحن أيضًا عميان" ؟.

كان الفريسيون يسيرون بالقرب من المسيح المخلص، وكانوا يهتمون بمرافقته، رغم أنه كان لهم مرارةً فى قلبهم كسهم حاد، وينظرون بأسى وحسد إلى مجده؛ فهم يرافقونه ولكنهم يجمعون مادة لبغضهم، ويخترعون افتراءات متنوعة ضد أعماله المعجزية، وبهذه الطرق يشلّون الذهن البسيط لأولئك الذين لديهم استعداد أكثر للإيمان. وحينما سمعوا المسيح يقول هذه الكلمات صرّوا بأسنانهم، لأنه من غير المحتمل أنهمَ يجهلون أن هدف هذا الحديث كان موجهًا ضدهم. ولكنه حينما قال بشكل غامض وغير محدد: " *ويعمى الذين يبصرون*"، فإنهم لم يجدوا سببًا معقولاً للاعتراض عليه كأنهم شتموا، ولذلك فهم يسألونه بخبث، مطبقين معنى ما قيل على أشخاصهم. وكانهم يريدون منه أن يقول بوضوح أكثر إن كان قد قصد أنهم عميان أيضًا، لكى يمكنهم أن يدينوه كمتعدٍ على وصية الناموس. فلكونهم يعرفون تفصيليًا كل كتب موسى، عرفوا أنه مكتوب: " *لا تسب رئيسًا فى شعبك*" (خر٢٢:٢٨). لذلك إما أنهم كانوا يتوقعون أن يُشتموا عندما يقولون مثل هذه الكلمات، لكى يظهروا أنهم يهاجمونه

لسبب معقول وأنهم يغضبون على المسيح ويشتاورون عليه دون أن يُلاموا؛ وإما بسبب أنهم شعروا فعلاً بمرارة شديدة فى ذهنهم، وكانوا ينفجرون ليظهر الخبث الذى كان فيهم. لأنه حينما قال المسيح، " *لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، لكى يبصر الذين لا يبصرون*"، وأشار بهذه الكلمات إلى إعادة البصر إلى الرجل الأعمى، فإنهم لم يستطيعوا أن يحتملوا أن يذكّرهم بالمعجزة. وإذ كانوا مدفوعين بالحسد، فإنهم قاموا ضده مرة أخرى محاولين أن يعارضوه. وفى حضوره لم يتحاشوا أن يقولوا ما يلى: [يا هذا، أنت تتباهى بأمور غريبة، فأنت لم تتمم أيًا من هذه الأعمال التى تظن فى نفسك أنك قد أجريتها. هل تريد أن تفرض نفسك علينا بعملك المعجزى. هل تستطيع أن تقول إنك قد شفيتنا على اعتبار أننا نحن أيضًا عميان؟ هل أنت تريد منا أن ننسب إليك المجد الذى يحق لطبيب وصانع عجائب، وأنت تتكلم بأكاذيب بنفس طريقة هذا الرجل الذى تقول أنت عنه إنه نال البصر بعد أن كان قد وُلِدَ أعمى. هل تتجاسر أن تتعامل معنا كذبًا بأقوال مماثلة؟].

لذلك، بالتأكيد فإن لغة الفريسيين وهم يسخرون من الأحداث المتصلة بالرجل الأعمى، شريرة ومملوءة بالمرارة الشديدة وهم يعتبرون ما هو حق خداعًا.

يو٩:٤١ " قال لهم يسوع، لو كنتم عميانًا لما كانت لكم خطية؛ ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية " .

والمخلص يخزيهم مرة أخرى، وهو يوجه توبيخه بمهارة، لأنه يبتعد تمامًا عن كل إهانة، ويربكهم بأن يواجههم بقوة الحق. فهو

يوضح لهم أنهم لا يحصلون على أى منفعة من كونهم مبصرين، أو بالأحرى إنهم يسقطون فى حالة أكثر سوءً ممن لا يستطيعون أن يبصروا بالمرة. فهو يقول، إن الرجل الأعمى وهو لم ينظر أى فعل من الأفعال المعجزية، فإنه مضى دون أن يخطئ، وهكذا فهو بلا لوم. أما هم الذين كانوا يراقبون وينظرون الفعل المعجزى، وبحماقة عظيمة وميل خبيث لم يقبلوا الإيمان عندما رأوا، لذلك فهم يجعلون خطيتهم صعبة الغفران. وفى الحقيقة يعسر عليهم أن يفلتوا من الدينونة التى يجلبها عليهم مثل هذا التصرف. لذلك فليس من العسير أن نفهم معنى هذا من جهة العمل الجسدى وإعادة البصر وحينما نأتى إلى ما يجب أن يُفهم بالمشابهة ونحصل على انطباعاتنا من المناقشة نفسها، فإننا نكرر مرة أخرى نفس المعنى: أى أن الرجل الذى لا يفهم يمكن أن يحصل على العفو من القاضى لسبب قوى، أما ذلك الذى له معرفة جيدة ويفهم واجبه، ثم يطلق العنان لميوله الوضيعة التى فى مبادئه الذهنية الأدنى، ويسلم نفسه لسيطرة اللذات بما لايليق، فإنه بدون شك سوف يستجدى الرأفة، وهو لن يُمنح ما يطلبه بأى حال، بل ينبغى أن يُعاقب، وسوف يهلك بعدالة تامة لكونه بلا عذر أُمسك بخطية فى نفسه. فربنا يسوع المسيح مثلاً يشير تمامًا لنفس الأمر فى الأناجيل قائلاً: " *وأما الذى يعلم إرادة سيده ولا يفعل سيُضرب كثيرًا* " (لو ١٢:٤٧).

لأن التهمة الموجهة إلى ذلك الذى لا يعرف هى مجرد تهمة الجهل. أما الذى يعرف ومع ذلك فإنه بتهور يرفض أن يعمل، فإن التهمة الموجهة إليه هى وقاحة متعجرفة. لاحظ كيف كانت لغة

المخلص دقيقة تمامًا فى هذه المناسبة أيضًا؛ لأنه لا يقول: " أنتم تبصرون" ولكنه يقول: " *أنتم تقولون إننا نبصر*". لأنه طبعًا سيكون من الخطأ أن ينسب الفهم لأولئك الذين كان لهم ذهن أعمى تمامًا وخالٍ من النور، حتى أنهم يتجاسرون أن يقولوا عنه: " *نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ*" (يو ٩: ٢٤). لذلك، فإن اليهود الذين يقولون عن أنفسهم إنهم يبصرون، ولكنهم لا يعملون ما ينبغى أن يعملوا، هم بكل تأكيد مُدانون من أنفسهم لأنهم يعرفون إرادة الرب ولكنهم مغرورون بأنفسهم لدرجة أنهم يقاومون حتى أعظم معجزاته اقتدارًا.

شرح إنجيل يوحنا
الإصحاح العاشر

يو١٠: ١-٥ : " الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف. لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها. ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته، وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء ".

من المحتمل جدًا أن أولئك الذين ينصتون بدون اكتراث، فإن لغة هذا المثل الذى أمامنا تبدو لهم غير ملائمة بالمرة: لأنه بعد الحديث عن العمى واستعادة البصر، نحن نواجه مباشرة عبارات خراف، وحظيرة، وباب. أما الذى له عقل حكيم والذى يبادر بأكثر اجتهاد ليقارن بين الأفكار، فسوف يدرك هنا أيضًا أن المناقشة تتواصل بطريق مباشر ولا تنحرف بالمرة عن ما هو صحيح وملائم.

وسوف أكرر هنا مرة أخرى ما سبق أن قلته مرات عديدة قبل ذلك. كانت عادة المسيح المخلص، حينما يأتى إليه بعض أشخاص، أن يجيب ليس على مجرد الكلمات التى عبّروا عنها باصواتهم، بل أن يتكلم عن أفكارهم الداخلية أيضًا، حيث إنه يرى القلب والكُلى؛ لأن: "*كل شئ عريان ومكشوف أمامه، وليست خليقة غير ظاهرة*" (عب٤: ٣). من أجل ذلك أيضًا يقول لواحد من القديسين: "*من الذى يخفى مشورته عنى، وعنده كلمات فى قلبه، ويظن أنه يخفيها عنى*"؟ (أيوب٣٨: ٢س).

لذلك فحينما سألت صحبة الفريسيين غير المقدسة بمكر، كما سبق أن قلنا منذ قليل، إن كانوا هم أيضًا عميانًا، حتى إذا تكلم بالحق عن ما كانوا عليه، أى انهم عميان، يمكن أن يتهموه مرة أخرى كأنه شتم الرؤساء وتكلم بالشر عن أولئك الذين يحق لهم أن يحكموا الشعب (لأنهم كانوا يفتخرون بهذا بتطرف)، فإن ربنا يسوع المسيح، لأنه يحارب فى هذه الحالة فكرهم الداخلى، فهو بالضرورة وللمنفعة يقدم هذا المثل مشيرًا (بنوع من الغموض وكما لو كان بألغاز) إلى انهم بسبب أنانيتهم المتعجرفة لن يظلوا ثابتين فى السلطان، وأن الكرامة لن تثبت لأولئك الذين فى كبريائهم يهينون الله معطيها، ويعلّم بأن هذه الكرامة ستكون فقط لأولئك الذين يدعوهم هو إلى قيادة الشعب. لذلك يقول إنه هو نفسه الباب، مقدمًا بإرادته الخاصة الإنسان الحكيم والمحب لقيادة قطعانه العاقلة. أما الذى يظن نفسه قادرًا أن يغتصب الكرامة التى لم تُعطَ له، بالعنف والتسلط، فهو يدعوه "*سارقًا ولصًا، يطلع من موضع آخر*". هكذا كان بعض من الذين تكلم عنهم أحد الأنبياء: "*ملكوا ولكن ليس منى*" (هو٨: ٤)، "*حكموا وليس بروحى*" (إش٣٠: ١). وهو يصرّح فى الكلمات التى أمامنا أنهم إن كانوا يريدون أن يكونوا مدبرين للشعب، فينبغى أن يؤمنوا ويجب أن ينالوا بواسطته الدعوة الإلهية لمباشرة هذه الكرامة، لكى تكون رئاستهم غير متزعزعة وراسخة تمامًا. وهذا هو الحال مع الرسل القديسين ومع معلمى الكنائس المقدسة الذين جاءوا بعدهم، هؤلاء الذين يفتح لهم البوّاب أيضًا. أى إما أنه الملاك المُقام ليرأس الكنائس ويساعد أولئك الذين أعطى لهم أن يخدموا فى الأشياء المقدسة لخير الشعب،

أو إنه المخلص نفسه الذى هو فى نفس الوقت الباب ورب الباب.

وفى جميع الأحوال يؤكد تمامًا أن قطيع الخراف يطيع باستقامة ويخضع لصوت الراعى، ولكن الخراف تتحول سريعًا جدًا بعيدًا عن صوت الغرباء. ويمكنك أن تفهم هذا الأمر بأن تمد تطبيق هذا الحديث إلى شئ أكثر عمومية. لأننا نعلّم فى الكنائس بأن نقدم تعاليمنا من الكتاب المُحى به ونقدم الكلمة الإنجيلية الرسولية كنوع من الغذاء الروحانى. والذين يؤمنون بالمسيح وهم ظاهرون بإيمانهم غير المنحرف، هم سامعون ومطيعون لمثل هذا التعليم، ولكنهم يتحولون بعيدًا عن أصوات المضلّين ويتحاشونهم كشر مميت. ولكن عندئذٍ سيقول أحدهم، ما هو هذا الذي يكشفه هنا للفريسيين؛ وأنا سأخبره بهذا أيضًا بأن أجمع الأفكار فى تعبير قصير وملَخص. وهكذا فهو يبين نفسه كرب الحظيرة، والباب والبوّاب، لكى ما يتعلموا بدقة أنه لن يكون وضع القيادة ثابتًا لهم إن لم يحصلوا عليه من خلاله، وهكذا تكون له الكرامة المُعطاة من الله. وبقوله إن الخراف تطيع رعاتها، وتجرى بعيدًا عن الغرباء، فهو يشير بمهارة مرة أخرى إلى أن الفريسيين لن يكونوا قادة لأولئك الذين سيصيرون مؤمنين به، بل إن خرافه سوف ترفض تعليمهم وتلتصق بالرعاة المُعينين منه هو.

يو١٠:٦ : " هذا المثل قاله لهم يسوع: أما هم فلم يفهموا ما هو الذى كان يكلمهم به " .

إن لغة القديسين بسيطة وبعيدة تمامًا عن تعقيد اليونانيين: " *فإن الله*" بحسب كلمات بولس، " *اختار جهالات العالم ليخزى الحكماء*" (١كو١:٢٧). لذلك فقد استعمل لفظ παροιμια (التى تعنى) كلام

مجازى، ليشير به إلى كلمة " بارابولى παραβολή التى تعنى مثل، ربما أن مدلول الكلمتين كان دائمًا مختلطًا، والمعنى يُفهم واحدًا بالتساوى سواء استُعلمت هذه الكلمة أم تلك. ومع ذلك فإننا نقول إن الإنجيلى المُوحى إليه يدهش كثيرًا من عجز اليهود عن الفهم. فكما يشهد واقع الأحداث نفسه، كان لهم عقل مثل الصخور أو الحديد، رافضين بإصرار أن يقبلوا أى تعليم نافع من أى نوع. لذلك فقد قيل لهم بصوت يوئيل النبى "*مزقوا قلوبكم لا ثيابكم*" (يؤ ٢:١٣).

ومرة أخرى، يبدو لى أن كاتب الإنجيل لم يقل بدون تروى: " *هذا المثل قاله لهم يسوع ولكنهم لم يفهموا ما الذى كان يكلمهم به*"، وهو يتكلم بهذا بتأكيد غير قليل. فكأنه قال بوضوح: إن الفريسيين كانوا بعيدين جدًا عن أن يمكنهم أن يفهموا أى أمر ضرورى، ورغم أنهم كانوا حكماء على نحوٍ منافٍ للعقل فى تصوراتهم الخاصة، فإنهم لم يفهموا هذا المثل الواضح جدًا والشفاف جدًا، وليس فيه أى شئ يصعب إدراكه، أو أى شئ متعرج يصعب السير فيه أو يعسر على الفهم. وهو يسخر بحق من سوء مشورة اليهود، حيث إنهم اعتبروا المسيح كلا شئ بالنسبة لهم، ورغم أنه علّم بما هو أعلا من الناموس، وقدم طريقًا للمعرفة مُسّرًا أكثر جدًا مما قدمه موسى.

يو١٠:٧ : " فقال لهم يسوع أيضًا الحق الحق أقول لكم إنى أنا باب الخراف".

لأن المسيح هو إله بالطبيعة، وإذ هو ينظر إلى ما فى العمق، فإنه عرف بطريقة شاملة جدًا أن الفريسيين لم يفهموا شيئًا من أقواله رغم أنهم اعتادوا أن يعظموا أنفسهم تعظيمًا كبيرًا على أساس تشريعهم فى

الناموس، وهم متشامخون بشكل زائد جدًا في ظنهم عن أنفسهم أنهم حكماء. لذلك فهو يعطيهم شرحًا واضحًا جدًا، وكما لو كان يغزل خيط المجادلة الطويل، فيخبرهم بكلمات قليلة عن الهدف الأساسى للمثل. ولأنه هو بالطبيعة صالح، فهو يرشد إلى فهم واضح حتى أولئك الذين لا يستحقون (هذا الفهم)، لعل النور يصل إليهم بطريقة ما. وهو يقول بتأكيد إنه هو نفسه "*باب الخراف*"، معلّمًا بشئٍ يُقِّر به الجميع؛ لأنه فقط بواسطة الإيمان به يسمح لنا بالدخول فى علاقة مع الله، وهو نفسه شاهد على هذا بقوله: "*ليس أحد يأتى إلى الآب إلاّ بى*" (يو١٤:٦). لذلك، إما أنه يريد أن يشير إلى شئ من نوع هذه العلاقة، أو ما هو أكثر مناسبة للمسائل التى نعالجها الآن، فإنه مرة أخرى يوضح لنا أننا ندخل بواسطته إلى تدبير وقيادة القطعان العاقلة بحسب ما يقوله بولس: "*ولا يأخذ أحد هذه الكرامة لنفسه، بل المدعو من الله*" (عب٥:٤). فمثلاً، ليس أحدٌ من الأنبياء القديسين اقام نفسه، ولا حتى جماعة الرسل العظيمة والمُضيئة دعت نفسها إلى هذه الكرامة، لأنهم أُقيموا بإرادة المسيح الذى دعاهم بالاسم، واحدًا واحدًا، كما يقول هو فى المثل الذى نحن بصدده. لأننا نعرف من الإنجيل حسب متى أسماء الرسل موضوعة بترتيب، ويتبعها مباشرة طريقة دعوتهم العلنية: إذ يقول، "*هؤلاء الاثنى عشر أقامهم المخلص، الذين سماهم أيضًا رسلاً*" (مت١٠:٥، ولو٦:١٣). لذلك إذ رأى أن الفريسيين الحمقى أرادوا أن يكونوا رؤساء وكانوا يتفاخرون بشدة بلقب القيادة وخصائصها، فهو ـــ للفائدة ـــ يعلّم أنه هو نفسه مانح القيادة للناس، وانه يستطيع أن يوصلّهم إليها بدون صعوبة. ولكونه

باب الحظيرة المقدسة والإلهية فهو يسمح بدخول من هو مناسب، وايضًا يمنع دخول من هو غير مناسب.

يو١٠: ٨ : " جميع الذين أتوا قبلى هم سرّاق ولصوص: ولكن الخراف لم تسمع لهم " .

المسيح إذن يمارس كل أنواع الإغراء على عقل الفريسيين العنيد، ويحاول أن ينقلهم إلى التفكير السوى، وهو يسعى أن يبين لهم إنه أمر غير مُجدٍ، بل هو محفوف بالمخاطر أن يتجاسروا على التصرف كقادة دون دعوة من فوق أو دون إرادة إلهية، بل يظنون أن القيادة يمكن الحصول عليها بالحماقة البشرية، رغم أن مانح القيادة قد لا يكون راغبًا فى ذلك. لذلك، إذ قد قال بوضوح إنه " هو نفسه الباب"، مما يعنى إنه الطريق الوحيد لدخول من هم مناسبين للقيادة، فإنه يعرض مباشرة محاولات الذين قبله حتى أنهم إذ يروا النتيجة التى تقود إليها مثل هذه الأعمال ـــ كما لو كانت مرسومة فى لوحة ـــ فإنهم قد يفهمون حينئذٍ بوضوح أن القدرة على ضبط وقيادة قطعان الناس، تأتى فقط بواسطة النعمة المُعطاة من فوق، وليس من مساعٍ طموحة. لذلك، فإن حديثه هنا أيضًا نافع تمامًا، إذ هو يُحضِر إلى الذهن تاريخ أولئك الذين قبله قائلاً: " *جميع الذين أتوا قبلى هم سرّاق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم*". لأن بعض الناس يتقدمون علانية مدّعين انهم يملكون وظيفة الرعاة الصالحين، ولكن حيث إنه ليس هناك من سلم لهم القيادة، ومن استطاع أن يقنع أولئك الذين ينبغى أن يقودوهم لكى يطيعوهم، فإن جمع الخراف ركضت بعيدًا عنهم.

ولكن لا يجب أن نتشكك بالمرة فى إرسالية الأنبياء القديسين ونظن أن مخلصنا المسيح قد استخف بها بسبب قوله: " جميع"؛ لأن القول ليس موجّهًا ضدهم بل ضد آخرين. لأنه حيث إن هدفه كان ان يتحدث عن الرعاة الكذبة والذين يتسلقون بطريق آخر إلى حظيرة الخراف، فبالضرورة تكون اللغة التى استخدمها متصلة بأولئك الذين كان قد أُشير إليهم بوضوح سلفًا: إنه يقول " جميع"، ولكننا لا نفكر بأى حال أنه بهذه الكلمة يتبرأ من اشخاص الأنبياء القديسين؛ فكيف يمكن أن يتبرأ منهم وهو الذى أسس الحق الموجود في شهاداتهم الواضحة من جهة مجيئه؛ وهو الذى يقول: " *وكثّرت الرؤى، وبيد الأنبياء مثلت أمثالاً* " (هو١٢: ١٠)، وهو الذى قال لإرميا: " *لا تقل إنى ولد: لأنك إلى كل من أُرسلك إليك تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به*" (إر١: ٧)؛ ويقول لحزقيال المُبارك: " *ياابن آدم أنا سأرسلك إلى بين إسرائيل الذين يغيظوننى بمرارة*" (حز٢: ٣س). لذلك فإن مجال الحديث ليس مُوجّهًا ضد جماعة الأنبياء القديسين، بل يتجه بالحرى إلى أولئك الذين ادّعوا فى اى وقت بأنهم يتنبأون فى اليهودية، قائلين كذبًا إنهم أتوا من الله، ويحاولون أن يحثوا الشعب على أن لا يطيعوا أولئك الذين كانوا أنبياء لله بالحقيقة، بل أن يشتركوا فى الأعمال والآراء التى اخترعوها بأنفسهم، والذين قال عنهم الرب الإله، سيد الكل، وهو نفسه يقول مرة أخرى فى موضع ما: "*أنا لم أُرسل هؤلاء الأنبياء بل هم جَروْا: لم أتكلم إليهم بل هم تنبأوا*" (إر٢٣: ٢١).

ويقول لإرمياء المبارك: " *بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمى. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. لأنهم يتنبأون لكم برؤى وعرافات وتنبؤات*

خارجة من قلوبهم" (إر ١٤:١٤س). *"فإن كانوا أنبياء وإن كانت كلمة الرب معهم فليأتوا أمامي"* (إر ١٨:٢٧س). *" ما للتبن مع الحنطة"؟* (إر ٢٨:٢٣س).

لأن الكلمة التي هي بالحق من الله لها قوة التغذية العظيمة جدًا، *" وتسند قلب الإنسان"* كما هو مكتوب (مز ١٥:١٠٤). أما كلمة الأنبياء الكذبة غير المقدسين والمعلمين الكذبة إذ هي هشة ومثل التبن فهي لا تعطي أية منفعة للسامعين. لذلك فحينما يسمي أولئك الذين اتوا قبله "سُرّاقًا ولصوصًا"، فهو يشير إما إلى الجمع الكاذب والخادع الذي تكلمنا عنه على التو، أو يمكنك أن تطبق معنى الكلمات أيضًا على أولئك الذين ذُكِروا في أعمال الرسل، لأن رؤساء اليهود قد جمعوا مرة الرسل القديسين معًا وأحضروهم إلى مجمعهم غير الشرعي بالمرة، وكانوا يتشاورون أن يطردوهم خارج أورشليم وأن يفرضوا عليهم أن يواجهوا باستمرار أعظم الأخطار. ولكن غمالائيل ذَكّرهم ببعض المعلّمين الكذبة بالكلمات الآتية: *" أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون أن تفعلوا، لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شيء، الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة، الذي قُتِلَ وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء. بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الإكتتاب وأزاغ وراءه شعبًا غفيرًا، فذاك أيضًا هلِك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا"* (أع ٣٥:٥ـــ٣٧).

إذن، فمن هذه الاعتبارات يمكنك أن ترى بوضوح بما لا يقبل الجدل، أن المسيح لا يقصد بهذه الكلمات، الأنبياء القديسين، بل يقصد

ذوى الاتجاه المعاكس، وذلك لكيما يحث الفريسيين ولو حتى ضد إرادتهم على أن لا يسعوا بأفكارهم الغبية وبتهور لكى يجدواحجة يجعلون بها انفسهم قادة، بينما أن الله لم يَرِد لهم أن يكونوا على رأس الشعب، بل أن يخضعوا سلطتهم فى جميع الأمور للاستحسان الإلهي، وأن يسرعوا للدخول من الباب الحقيقى بدلاً من أن يحاولوا أن يطلعوا من موضع آخر بحسب طريقة اللصوص.

يو١٠:٩ : " أنا هو الباب. إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى" .

بحسب طريقته المعتادة، فهو يصوغ حديثه بنظرة روحية نابعة من أسلوب حياته، ويبدو أنه يتحدث عن أشياء بسيطة فى مظهرها ولا تحوى أى شئ يصعب إدراكه كصورة لأشياء غير واضحة.

فهو يقول، إن السرّاق واللصوق الذين يقتحمون حظيرة الخراف بالقوة، لا يدخلون من الباب بل يقفزون من موضع آخر. وبتسلقهم جدار الحظيرة فإنهم يعرّضون أنفسهم للخطر. فمن المحتمل جدًا أن من يسرق بهذه الطريقة ويمارس الجريمة بتهور قد يُكتشف أمره ويُضبط بسهولة؛ أما الذين يدخلون من نفس الباب، فإن دخولهم يكون بدون التعرض لخطر إذ أن سلوكهم غير وضيع، وهم معروفون لرب الخراف. لأن البواب يفتح لهم وهم يلجون إلى الداخل: ويقول أيضًا، إن مثل هؤلاء سيكونون هم والخراف فى أمان عظيم، إذ انهم قد دخلوا بطريقة شرعية تمامًا وغير غاشة، ودون أن يكونوا موضع ارتياب بأنهم لصوص.

وإذن، فهذا الجزء من الرواية هو مثال؛ والآن إذ ننتقل إلى ما هو

أساسى لمنفعتنا الروحية فإننا نقول هذا: إن أولئك الذين يتقدمون صاعدين لقيادة الشعب بدون تفويض إلهى، وكأنهم يرفضون تمامًا الدخول من الباب، فإنهم قد يهلكون أيضًا، إذ أنهم يقاومون متعدين الحكم الإلهى بسبب مجادلاتهم. أما الذين خُصِّصت لهم قيادة معطاة من الله ويصلون إليها بالمسيح، فإنهم سوف يسوسون الحظيرة، المقدسة جدًا، بثقة عظيمة ونعمة عظيمة، وهم بذلك ينجون تمامًا من الغضب الذى يقع على الاخرين، بل بالحرى ينالون كرامة بسبب عملهم: وهم سوف يحصلون على الأكاليل من فوق دون أن يكونوا قد توقعوا أن يحصلوا عليها؛ لأنهم لم يكونوا يهدفون بأى حال أن يحزنوا رعيتهم، بل بالأحرى كان هدفهم هو منفعة رعيتهم: ولذلك فإنهم يصنعون كل ما يرضى رب الرعية، ويحبّون أن يخلّصوا بكل الوسائل أولئك الذين هم خاصة الرب.

بهذه الكلمات أيضًا، فإن الرب يزعج الفريسيين المعاندين بشدة، قائلاً إنهم بالتأكيد لن يبقوا فى مراكزهم، بل إنهم سوف يسقطون كلية من الرئاسة التى هم فيها الآن؛ وذلك بكل عدل، حيث إنهم يفترضون أنهم سيملكون القيادة على الدوام، ليس من الله بل بحماقتهم. ولكننى هنا أيضًا، لا أستطيع إلاّ أن أُبدى إعجابى الشديد بمحبة المخلّص الفائقة نحو البشر، لأن " *الرب هو بالحقيقة حنان ورحيم*" (انظر مز ١١١:٤). فهو يقدم للجميع طريقًا للخلاص وهو يدعو إليه بطرق متنوعة حتى المعاندين جدًا والمتقّسين. وسوف آخذ البرهان على تأكيدى هذا من هذا الحديث نفسه. لأنه حينما يفشل فى أن يقنع الفريسيين لقبول تعليمه سواء بواسطة الأعمال العجائبية أو بواسطة

الحنين الذى يتوق إلى المجد الاتى ويترجاه، فإنه يتقدم بشدة نحو هذا الهدف (أى إقناعهم بقبول تعليمه) بطريقة كان من المحتمل أن تزعجهم بنوع خاص لكى بذلك يمكن أن ينظروا إلى الطاعة على أنها ضرورة لا مفر منها. فلأنه يعرف عنهم أنهم متعلقون بالمجد المرتبط بكونهم قادة وبتوقعهم لربح غير عادى من هذه المراكز القيادية فهو يقول إنهم سيُحرمون منها وسوف يُسلبون تمامًا من ذلك الأمر الذى كانوا يقدرونه تقديرًا عظيمًا والذى كان ملكًا لهم فى ذلك الحين، ولن يفلتوا من هذا المصير إن لم يسلموا أنفسهم لطاعته، ويطلبون الغفران على يديه.

يو١٠:١٠ : " السارق لا يأتى إلاّ ليسرق ويذبح ويهلك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل " .

وبينما كان مخلصنا يسوع المسيح يقول إنه هو نفسه الباب، وبينما كان يعلّم أنه هو الذى يسمح بدخول الذين يريدهم أن يدخلوا، وأن يمنع دخول من هو غير ملائم وغير صالح لعمل الرعاية؛ وأكثر من ذلك فإنه قد شجب أولئك الذين أقاموا أنفسهم لينالوا كرامة لم تُعط لهم من فوق، إذ شجبهم كسرّاق ولصوص؛ فإن الفريسيين التعساء كانوا يتشاورون ويتداولون فيما بينهم من يكون هذا الإنسان الذى يظهر مثل هذه الجراة العظيمة ويفكرون من جهته أنه ينبغى أن يُحسب بين أولئك الذين يتكلم هو نفسه ضدهم: لأنهم كانوا يعتقدون أنه هو نفسه كان راعيًا زائفًا ومعلّمًا كاذبًا، وانه أقام نفسه بقراره الشخصى، وانه لم يكن إلهًا ثم صار إنسانًا، بحسب الإعلان القديم للكتاب المُوحى به.

وفى الواقع، من المحتمل أنهم حتى وإن كانوا قد حصلوا على

معرفة صحيحة عنه، فإنهم رفضوها بسبب أنها لا تتفق مع كفرهم، ورفضوا أن يقبلوا أى شئ لا يكون منسجمًا مع لذتهم ومع بهجتهم العزيزة لديهم، ألاّ وهى أن يكونوا رؤساء للشعب، وأن يتحدث عنهم الناس هكذا. لذلك **فحينما عرف الرب أن هذه هى أفكارهم وأنهم يتهامسون بهذه الأفكار بعضهم مع بعض، فإنه لم ينتظرهم لكى يعبّروا عن هذه الأفكار بصراحة، بل اجابهم بما هو مناسب، وأعلن أن المسألة ينبغى أن تُحسم عن طريق امتحان أعمالهم ليظهر من هو الراعى ومن هو السارق:** إنه ليس عسيرًا بأى حال التمييز بين الاثنين إذا لاحظنا هدف كل واحد منهما وسلوكه. فهو يقول، إن السارق يأتى ليهلك الخراف، إذ أن حب السرقة يؤدى بلا شك إلى هذه النهاية، أما الراعى الصالح حقًا، فيأتى دون أن يسبب أى ضرر للحظيرة، بل بالحرى هو يعمل لأجل فائدتهم. وكل ما يعرف أنه لخيرهم الأعظم فهو يتعب لتحقيقه بحماس شديد.

لذلك، فلننتقل الآن من هذه الصورة إلى الموضوع الحقيقى الذي يشير إليه المعنى القوى للكلمات، ولنفكر مرة أخرى من جهة الفريسيين كيف أنهم كانوا فى ذلك الوقت يعملون مثل رعاة زائفين ومعلّمين كذبة وذلك بالنسبة لأولئك الذين كانوا ينخدعون منهم، ثم بعد ذلك، فلنفكر فى ما جاء المسيح ليعطيه، وفى السعادة التى جاء ليقدمها لنا. وبالتأكيد، فإنهم لم يترددوا فى أن يتكلموا بالكذب. وإذ يزعمون أنهم مرسلون من الله، فإنهم تنبأوا (كما هو مكتوب) " *من قلوبهم وليس من فم الرب*" (إر٢٣: ١٦س)؛ وإضافة إلى ذلك، فإن ثوداس ويهوذا الجليلى اجتذبا وراءهما شعبًا غفيرًا (انظر أع٥: ٣٧)،

هذان هلكا مع كل الذين انقادوا وراءهما: وأما ربنا يسوع المسيح فقد جاء لينعم علينا بحياة أبدية وذلك بقوة المحبة التي له من نحونا. ولأن أغراضهم مضادة تمامًا، وطريقة وصلوهم (إلى القيادة) مختلفة تمامًا، فكيف يمكن شرح هذا إلاّ بأن نزعاتهم ومراكزهم تتعارض بعضها مع بعض؟ لذلك، هو يقول إنه، عن طريق فحص سلوكهم في مراكزهم، يمكن أن نميز من يكونون هم، من ناحية، ومن يكون هو من الناحية الأخرى. لأنه هكذا ربما كان ممكنًا أن يقنع القادة أن لا يفكروا عنه تفكيرًا غير معقول بعد ذلك، بأن يظنوا أنه أحد الرعاة الكذبة، أو أنه أحد أولئك الذين يطلعون من موضع آخر إلى الحظيرة، بل بالحرى، أن المسيح، الباب، وحارس الباب، والراعي ، قد جاء ليس فقط ليكون للخراف حياة كما يقول هو، بل ايضًا يكون لهم ما هو "أفضل"؛ لأنه إضافة إلى إعادة أولئك الذين يؤمنون به إلى الحياة، يوجد أيضًا رجاء أكيد في أنهم ينالون بركة كل الصالحات. ومن المحتمل أن كلمة " أفضل" تشير أيضًا إلى هذه الحياة، أي تعني ما هو أكثر وفرة وأكثر كرامة، وتعني المشاركة الأكثر كمالاً في الروح، وإن كانت هذه المشاركة بطريقة سرية تمامًا. لأن إعادة الحياة (القيامة) هي أمر مشترك للقديسين والخطاة معًا، لليونانيين واليهود، وايضًا لنا نحن أنفسنا: لأنه " *سيقوم الأموات، والذين في القبور سيستيقظون والذين في التراب سيتهللون*" (إش٢٦: ١٩س)، وذلك بحسب وعد المخلص الأكيد. أما الاشتراك في الروح القدس وملكوت السماوات فهو ليس عامًا للكل، إذ هو ما هو " أفضل " من الحياة، كما لو كان شيئًا فائقًا عما هو مشترك للكل، وسوف يُمنح فقط

لأولئك الذين يتبررون بالإيمان بالمسيح: وبولس الإلهى أيضًا يبرهن لنا على هذا قائلاً: " *هوذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير: فإنه سيبوق فيُقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير*" (١كو١٥: ٥١، ٥٢). لأنه فى الحقيقة فإننا سوف نقوم جميعًا من بين الأموات لأن القيامة قد مُنِحتْ لكل الطبيعة البشرية بواسطة نعمة قيامة (المخلص)؛ وفى واحد، أى المسيح، الذى هو الأول والمتقدم الذى يحطم سلطان الموت ويعطى حياة أبدية. والميراث العام لكل البشرية تغير وصار غير قابل للفساد، وذلك مثلما أن آدم الأول قد حُكم عليه بالموت والفساد. ولكن، فى ذلك الوقت سيكون هناك اختلاف هام بين الذين يُقامون، وسيكون مصير بعضهم مختلفًا عن مصير البعض الآخر. لأن أولئك الذين انتقلوا إلى راحتهم وهم فى الإيمان بالمسيح، والذين قد نالوا عربون الروح فى فترة حياتهم الجسدية، هؤلاء سوف يحصلون على أكمل نعمة، وسوف يتغيرون إلى المجد الذى سيُعطى لهم من الله.

أما أولئك الذين لم يؤمنوا بالابن وقد اعتبروا مثل هذه المكافأة المدهشة، كلا شئ، فإنهم سيُدانون أيضًا بواسطة صوته، وهم لا يشتركون مع الباقين فى أى شئ سوى فى العودة إلى الحياة، وسوف يأخذون عقاب عدم إيمانهم المُمتد. لأنهم سينحدرون إلى الهاوية ليُعاقبوا، وسوف يشعرون بندم لا فائدة من ورائه. لأنه يقول: " *هناك يكون البكاء وصرير الأسنان*" (مت٨: ١٢).

يو١٠: ١١: " أنا هو الراعى الصالح ".

بعد أن أظهر سابقًا وبوضوح كيف عانى أولئك الذين عاشوا فى

الأزمنة السابقة، من رياء الأنبياء الكذبة والرعاة الكذبة، وبعد أن أظهر الفوائد التى تنتج عن مجيئه، وبعد أن أظهر الآن أيضًا سموّه بمقارنة المصير المستقبلى، وبعد أن كُلِّلَ كمنتصر بشهادات الحق؛ فهو على نحو ملائم ينطق بالكلمات: "*أنا هو الراعى الصالح*".

فهو يقول، لذلك بكل تأكيد، فإن خططكم ضدى ستكون باطلة، حيث إنه بدون أن تستطيعوا أن تدّعوا بأنى أرغب فى إتلاف كل ما ينفع الخراف، فإنكم لن تترددوا فى أن تحسبونى بين اولئك الذين يريدون أن يفعلوا هذا، وذاك الذى هو بالحق صالح تدعونه شريرًا، إذ أنكم بسبب تمجيدكم لنفسكم تفقدون القدرة على الحكم فى اى أمر بالعدل بحسب أوامر مُعطى الناموس. لذلك فهو يوبخ القادة كظالمين. ولأنهم لا يعطون اعتبارًا بالمرة لكلمات موسى، ويجهلون غاية مجيئه (المخلص)، ومن ثمَّ فإننا نعرف أن إشعياء النبى يتكلم بالحق إذ يقول: "*ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا، الجاعلين المُرّ حلوًا والحلو مرًا*" (إش٥: ٢٠). ففى الواقع كيف لا يفعلون هذا، أولئك الذين يعاملون النور الحقيقى، أى ربنا يسوع المسيح على أنه ظلام، ولا يترددون فى أن يحسبوا راعينا الصالح كاحد الرعاة الكذبة. أو ربما يتجاسرون أن يعطوه إكرامًا أقل من هؤلاء ؟ لأن مثل هؤلاء الذين يعترفون وينطقون بالكلمة الإلهية وقد دربوا أنفسهم تحت اسم النبوة، ويسلبون عقول الشعب، وبمكر يسرقونهم ويبعدونهم عن طريق الحق، ويقودون أتباعهم بعيدًا ليفعلوا مسرتهم الخاصة بدلاً من مشيئة الله، مثل هؤلاء كانوا معتبرين جدًا عند أولئك الذين كانوا أصحاب سلطان فى ذلك الوقت. فإن شمعيا

النحلامي وقف ضد كلام الله بأكاذيبه، وتكلم بجسارة ضد إرميا المُمجد؛ لأن الأخير كان في القيود، وشمعيا كان مُكرمًا عند صدقيا كماكافأة له على أكاذيبه.

والآن، فإن الفريسيين التعساء إذ يذهبون وراء كفر مماثل، ويتصفون بعجرفة متجاسرة جدًا، ولا يعترفون للمسيح حتى بالوضع الذي يُعطى للمعلمين الكذبة. فماذا قالوا لبعض من الذين كانوا يسمعون حديثه بابتهاج كثير؟ "*به شيطان، وهو يهذى، لماذا تستمعون له*" (يو ١٠: ٢٠). لذلك فهو نفسه يقول أيضًا عنهم بفم إشعياء: "*ويل لهم لأنهم هربوا عنى، ما أتعسهم لأنهم أذنبوا إلىّ، ورغم إنى قد افتديتهم إلاّ أنهم تكلموا عنى بالكذب*" (هو٧: ١٣س). وايضًا يقول: "*يسقط رؤساؤهم بالسيف من أجل سخط ألسنتهم*" (هو٧: ١٦). أفليسوا مستحقين لكل عقاب هؤلاء الذين يشحذون لسانهم بكل حدة حتى أنهم يتجاسرون أن يقولوا ضد المسيح مثل هذه الأمور التى لا تليق بنا بالمرة بأى حال، بل تليق فقط بأولئك الذين يعتقدون بآراء مماثلة إما ليقبلوها في آذانهم أو ليرددوها بطياشة.

يو١٠: ١٠ ـ ١٣: " .. والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف. وأما الذى هو أجير وليس راعيًا الذى ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف ويهرب. فيخطف الذئب الخراف ويبددها. والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالى بالخراف" .

وبعد أن قارن مقارنة بارعة بين أحاديث الثرثرة والجسارة الشريرة التى للبعض، وبين جلال أعماله الخاصة، وبعد أن وصف الأولين بأنهم سُرّاق ولصوص ومتسلقين إلى الحظيرة من طريق

آخر، وبعد أن دعا نفسه أنه هو نفسه حقًا الراعى الصالح، فهو الآن ينتقل لكى يتحدث عن معلمى اليهود أنفسهم، ويبيّن أن قيادته هو أفضل من قيادة الفريسيين. وهو يجعل الإيضاح أيضًا ظاهرًا لهم جدًا عن طريق عقد مقارنة.

لأنه في مقابل إهمالهم وعدم مبالاتهم يضع يقظته ومحبته؛ وهو يتهمهم مرة أخرى بأنهم لا يعتنون بالقطيع، بينما يقول **إن عنايته هو بالقطيع كانت قوية جدًا حتى أنه ازدرى بالحياة نفسها التى هى عزيزة جدًا على الجميع**. وهو يشرح الطريقة الصحيحة التى يُمتحن بها الراعى الصالح، فهو **يعلّم أنه فى الجهاد لأجل خلاص القطيع، فإن مثل هذا الراعى لا يتردد أن يبذل حتى الحياة نفسها بكل رضا**، وهو الشرط الذى تحقق طبعًا فى المسيح.

لأن الإنسان عندما خضع للميل إلى الخطية فإنه فى الحال ابتعد بعيدًا عن محبته لله. ولهذا السبب طُرِدَ من الحظيرة المقدسة الإلهية، وأعنى مناطق الفردوس، ولأنه قد صار ضعيفًا بسبب هذه الكارثة فإنه أصبح فريسة للذئاب القاسية جدًا والحاقدة، أى إبليس الذى أغواه إلى الخطية، والموت الذى تولد عن الخطية. ولكن حينما أُعلِن المسيح كالراعى الصالح على الكلّ، ففى صراعه مع هذين الوحشين المرعبين، فإنه بذل حياته لأجلنا، فهو احتمل الصليب لأجلنا، لكى بالموت يبيد الموت، وقد أُدين من أجلنا لكى يخلص كل البشر من الدينونة التى بسبب الخطية، وقد أبطل طُغيان الخطية بواسطة الإيمان، وسَمَّرَ فى صليبه الصك الذى كان ضدًا لنا كما هو مكتوب (كو٢: ١٤). وتبعًا لذلك فإن أب الخطية اعتاد أن يضعنا فى الهاوية

مثل الخراف مسلّمًا إيانا للموت كراعٍ لنا حسب ما قيل فى المزامير (انظر مز٤٨: ١٥س). أمّا الراعى الصالح بالحق، **فقد مات من أجلنا، لكى يخرجنا من حفرة الموت المعتمة** ويهيئنا لكى يجعلنا بين صحبة السمائيين، ويعطينا منازل فى الأعالى، مع الآب، بدلاً من الأوكار التى فى أعماق الهاوية أو فى تجاويف البحار. لذلك فهو يقول لنا أيضًا فى موضع ما: "*لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت*" (لو١٢: ٣٢). هذه الكلمات تنطبق على القطيع الذى يعتنى به المسيح. لكن هيا بنا الآن نتحدث عن حالة قطعان الآخرين. وبالتأكيد، فإن ذلك الذى يعتنى بحالة الخراف بحرصٍ وبعدلٍ، سينظر إلى أولئك الآخرين على أنهم أجراء ورعاة كذبة وتعساء وخونة وجبناء، هؤلاء الذين لم يعطوا على الإطلاق أى تفكير لأجل منفعة الخراف. أما أولئك (الرعاة الآخرون)، فيتطلعون بحماس إلى كل ما يبدو مُرضيًا لذواتهم فرديًا من كل ناحية. فبحسب كلمات المخلص، فإن الأجراء هم الذين ليست الخراف لهم. فالخراف هى بالأحرى للمسيح، الذى استأجر هؤلاء الرجال منذ البداية، وأعطى للكهنة الكرامات والرئاسة على الشعب اليهودى: أما هم، فقد أهانوا مثل هذا الوضع المُكرّم جدًا، وأهملوا الحظيرة كليةً، وسلموا الخراف للذئب. وسوف نشرح باختصار كيف فعلوا هذا. ففى عصور سابقة، فإن شعب اليهود الكثير اعترفوا بالله وحده ملكًا لهم، ودفعوا له نصف شاقل، وقدموا له ذبائح، وأتوا بفريضة الناموس كنوع من التقدمة. ولكن أتى عليهم إنسان من جنس غريب مثل ذئب متوحش وفرض عليهم اسم العبودية وحقيقتها ووضع عليهم نير السيادة

البشرية، واجبرهم على قبول طريقة حياة غير متوافقة وغير مألوفة، مُطالبًا إياهم بالضريبة، وسارقًا لملكوت الله.

لأنه كان بالضرورة أمرًا طبيعيًا بالنسب لهم حينما وصلوا إلى هذه الحالة من التعاسة أن يخضعوا لفرائض الذى تسلط عليهم. جاء الغريب الجنس، وطرح السلطان الذى من الله بعيدًا أى السبط المُعين للخدمة فى المقدسات والذى سلمه الله القضاء والرئاسة. فهذا الغريب غير كل شئ واستعمل العنف، وأمر أن تُطبع صورته على العملات سالكًا بكل نوع من الغطرسة. والرعاة لم يسهروا لمقاومة مثل هذه العجرفة التى لا تحتمل. لقد رأوا الذئب مقبلاً فتركوا الخراف وهربوا لأن الخراف ليست لهم، ولم يستنجدوا بذاك الذى يستطيع أن يعين، وهو الذى أنقذهم من أيدى البابليين وطرد الأشوريين، وقتل بيد ملاك مائة وخمسة وثمانين ألفًا من الغرباء (انظر إش٣٧:٣٦). ويمكنك أن تعرف من الواقع الحاصل أن شعب إسرائيل تأذوا بدرجة ليست قليلة وانحطوا بقبولهم سيادة الغرباء، وأنا أقصد حكم ذوى الجنس الغريب. ففى مرة وبخ بيلاطس جسارة اليهود غير اللائقة لأنهم طلبوا منه أن يصلب الرب، وحينما قال لهم صراحة أأصلب ملككم، فإنهم عندئذ فى الحال تركوا جانبًا خضوعهم لله، وكسروا ربط عهدهم مع إله إسرائيل، وأخضعوا أنفسهم لنير جديد صارخين بصوت واحد "*ليس لنا ملك إلاّ قيصر*" (يو١٩:١٥). وهذه الأمور سواء ما فعله الشعب أو ما صرخوا به كانت فى نظر رؤسائهم صائبةً وصحيحةً، لذلك فيجب أن ننسب إليهم سبب كل المصائب التى أصابت الشعب، فهم مُدانون، وهم بحق خائنون للخراف وهم تعساء وجبناء، وبالتأكيد هم

محبون للعراك، وقد رفضوا حتى أن يحموا الخراف التى استؤمنوا عليها أو يدافعوا عنها. لذلك فإن الله يوبخهم أيضًا قائلاً: "*لأن الرعاة بلدوا، والرب لم يطلبوا، لذلك فليس أحد من رعيتهم يفهم، بل قد تبددوا*" (إر ١٠: ٢١س). وعلى ذلك، فمن الأحداث نفسها، يظهر أن المسيح هو حقًا راعى الخراف الصالح، أما الآخرون فهم مفسدون وليسوا صالحين، ويحق أن يُستعبدوا كلية عن كل مديح يُمدح به المخلصون.

يو١٠: ١٤ : " أنا هو الراعى الصالح " .

وهو يتهلل أيضًا لأنه حصل على الغلبة وعلى مصادقة سامعيه الذين يرون أنه ينبغى أن يُعترف به كرئيس لليهود، هذه المصادقة لا يُعبّر عنها بالشهادة العلنية من أى واحد، بل تظهر من فحص الوقائع الذى أجريناه حالاً. فهو بعد أن قابل بين الأعمال الخاصة وبين جرائم المعلّمين الكذبة، وبيّن نتيجة أفعاله أنها أفضل من نتيجة زيفهم، لأنه يقول إنهم أتوا لمجرد أن يسرقوا ويذبحوا ويهلكوا، وأن يتكلموا بأكاذيب وأن يقولوا أشياء ضد الناموس؛ وأما هو فقد جاء لكى يكون للخراف ليس مجرد حياة بل أيضًا شئ أفضل؛ فإنه صاح بطريقة حسنة وصائبة قائلاً: أنا هو الراعى الصالح. وهكذا فهنا أيضًا، هو يميز الراعى الصالح الحقيقى على أنه هو ذلك الشخص المستعد أن يموت لأجل الخراف ويُسرّ بأن يضع حياته لأجلهم، بينما الأجير أى القائد الغريب، فهو شقى وجبان، ويستحق تلك الأسماء التى أُعطيت له سابقًا؛ وحيث إنه يعرف أنه هو نفسه سيضع حياته من أجل الخراف، فبسبب حسن يصرخ عاليًا: "*أنا هو الراعى الصالح*". لأن

الذى هو متقدم فى كل شئ ينبغى بالطبع أن يكون فائقًا على الكلّ، حتى أن المرنم يظهر مرة أخرى أنه صادق حينما يخاطبه فى موضع ما " *لكى تتبرر فى أقوالك وتغلب إذا حوكمت*" (مز ٥٠:٤س). وإضافة إلى ما قلناه فإن هذا الأمر الآخر يستحق الاعتبار، فمن جهتى أنا أظن أن التعليم الذى قصد به أن يكون ذا منفعة عظيمة لشعب اليهود والذى كان يحثهم عليه، ليس فقط بواسطة كلماته، بل أيضًا بأقوال الأنبياء، لكى يقنعهم أن يفكروا تفكيرًا صائبًا، وأن يعرفوا بشكل يقينى أنه هو الراعى الصالح وأن الآخرين ليسوا هكذا. فبالتأكيد لن يكون من غير المعقول أن نفترض، أنهم حتى وإن لم يقتنعوا بكلماته هو إلاّ أنهم ــ على أى حال ــ لن يكونوا غير راغبين فى أن يخضعوا لأقوال أنبيائهم. وبناء على ذلك فهو يقول: " *أنا هو الراعى الصالح*" وهو يُحضِر إلى ذاكرتهم الكلمات التى نطق بها بواسطة حزقيال ويعيدها إلى أذهان اليهود. لأنه هكذا يتكلم النبى عن المسيح وعن أولئك الذين أُعطى لهم أن يقودوا شعب اليهود: " *هكذا يقول الرب الإله للرعاة: ويل لرعاة إسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم. ألاّ يرعى الرعاة الغنم، تأكلون الشحم وتلبسون الصوف، وتذبحون السمين ولا تراعوا الغنم. المريض لم تقووه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه، والضال لم تطلبوه، بل بشدة وبعنف تسلطتم عليه. فتشتتت بلا راعٍ وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقل وتشتتت، ضلت غنمى فى كل الجبال وعلى كل تلٍ عالٍ، وعلى كل وجه الأرض تَشتّتت غنمى ولم يكن من يسأل أو يفتش*" (حز٣٤:٢ــ٦). لأن هدف رؤساء اليهود الوحيد كان

أن يهتموا فقط بمكسبهم وأن يغتنوا من تقدمات الشعب، وان يجمعوا منهم أتاوات وأن يفرضوا أحمالاً ثقيلة، أكثر مما يفرضه الناموس، ولم يكن هدفهم أن يهتموا بأى شئ يمكن أن ينفع أو يحفظ الذين تحت رعايتهم فى أمان.

لذلك فإن الراعى الصالح حقيقة يتكلم مرة أخرى عنهم بهذه الكلمات: " *هكذا قال السيد الرب: هاأنذا على الرعاة وأطلب غنمى من يدهم وأكفهم عن رعى الغنم، ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد فأخلّص غنمى من أفواههم فلا تكون لهم مأكلاً* " (حز ٣٤: ١٠). وأيضًا يقول بعد هذه الكلمات ما يلى: " *وأقيم عليها راعيًا واحدًا فيرعاها عبدى داود، هو يرعاها وهو يكون لها راعيًا. وأنا الرب أكون لهم إلهًا وعبدى داود رئيسًا فى وسطهم. أنا الرب تكلّمت. وأقطع معهم عهد سلام وأنزع الوحوش الرديئة من الأرض فيسكنون فى البرية مطمئنين وينامون فى الوعور. وأجعلهم وما حول أكمتى بركة وانزل عليهم المطر فى وقته فتكون أمطار بركة وتعطى شجرة الحقل ثمرتها وتعطى الأرض غلتها* " (حز ٣٤: ٢٣ـ٢٧).

فإن الله يقينًا، بطريقة حسنة جدًا وواضحة بشدة عرف أن جميع الفريسيين الأشرار سوف يُنزعون من رئاسة اليهود، وهو يعلن بوضوح أنه بعد ذلك سيقيم على قطيع المؤمنين العاقل، مَنْ هو مِن نسل داود حسب الجسد، أى المسيح، لأن الله قد قطع بواسطته عهد سلام وأعنى البشارة الإنجيلية والإلهية التى تقودنا إلى المصالحة مع الله وربح ملكوت السموات. وكذلك أيضًا، فإنه بواسطته يأتى مطر البركة أى باكورة الروح جاعلاً النفس التى يسكن فيها مثل أرض

مثمرة. وحيث إن الفريسيين سببوا ضيقًا غير قليل لرعيتهم ولم يطعموها بل بالحرى جعلوها تتعذب بطرق عديدة، فى حين أن المسيح خلّص خرافه، واتضح أنه هو الذى يعطى البركات من فوق ويديمها. ولذلك يظهر أنه مُصيب فى هذا الذى يقوله عن نفسه: "*أنا هو الراعى الصالح*".

فلا يتعثر احد فى أن ذلك الذى هو من نسل داود، يدعوه الله الآب عبدًا رغم أنه هو بالطبيعة الله والابن الحقيقي؛ بل بالحرى ينبغى ان يُفهم أنه "*قد وضع نفسه آخذًا صورة عبد*" (فى٢: ٨، ٦)، لذلك يدعوه الله الآب باسم يناسب الهيئة التى أتخذها.

يو١٠: ١٤، ١٥ : " وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى. كما أن الآب يعرفنى وانا أعرف الآب " .

بدون تفكير عميق، يمكن لأى واحد أن يقول إن الرب أراد بهذه الكلمات أن يشير فقط إلى أنه سيكون معروفًا لخاصته وأنه سوف يمنح المعرفة عن شخصه بلا معاناة للذين يؤمنون به؛ وأيضًا أنه سوف يعرف خاصته، وهذا يعنى بوضوح أن المعرفة لن تكون بدون منفعة لأولئك الذين أُعطى لهم أن يختبروها، لأن أى شئ أفضل من أن يكون الإنسان معروفًا من الله؟ ولكن حيث إن ما يُعبّر عنه هنا يتطلب إمعان نظر أعمق، وخاصة بسبب أنه أضاف: "*كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب..*". فهيا بنا لنتقدم لفهم هذه الكلمات التى امامنا. لأنى لا أظن أن أى شخص له عقل سليم سيقول إن له قدرة بحيث يستطيع أن يبلغ إلى مثل هذه المعرفة عن المسيح، مثل المعرفة التى يعرفه الآب بها. لأن الآب وحده يعرف وليده الخاص وهو

يُعَرف من وليده الخاص وحده، " *وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب وليس أحد يعرف الاب إلاّ الابن*" بحسب قول المخلص نفسه. لأن كون أن الآب إله والابن بالمثل إله حقيقى فإننا نعرف هذا وقد آمنا به، ولكن ما هى طبيعتهما التى لا يُنطق بها فى جوهره، فهذا أمر غير قابل للفهم بالنسبة لنا وبالنسبة لكل المخلوقات العاقلة الأخرى. فكيف إذن يمكن أن نعرف الابن على قياس معرفة الاب له. لأننا ينبغى أن نفكر فى المعنى الذى يعلنه بقوله إنه سوف يعرفنا ذاته وسوف يكون معروفًا منا، كما يعرف هو الآب والآب يعرفه.

لذلك ينبغى أن نفحص أيضًا، عن المعنى الذى سوف نعطيه لهذه الكلمات، لكى لا تكون بعيدة عن التوافق مع سياق الحديث. هذا ما ينبغى أن نسعى إليه. ومن جهتى فإنى لن أخفى ما يأتى إلى ذهنى حتى لو كان مقبولاً فقط من أولئك الذين يرغبون فيه. لأنى أظن أنه يقصد بكلمة " المعرفة " ليس مجرد التعرف، بالحرى يستعمل هذه الكلمة لكى يشير بها إلى علاقة حميمة، إما عن طريق الطبيعة والأصل أو عن طريق المشاركة بالنعمة والكرامة. وبهذه الطريقة فقد اعتاد أبناء اليونانيين أن يقولوا أنهم يعرفون ليس فقط اولئك الذين هم ذوو علاقة عائلية بعيدة، بل أيضًا حتى أشقائهم الفعليين لأن المسيح يقول فى موضع ما عن الذين لم يكونوا فى علاقة حميمة معه: "*كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين؛ وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذٍ أصرح لهم: إنى لا أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم*" (مت٧: ٢٢، ٢٣). وأيضًا إن كانت المعرفة تعنى ببساطة: "التعرف"، فكيف يمكن لذلك

الذى كل الأشياء مكشوفة وعريانة أمام عينيه كما هو مكتوب، كيف يكون بدون معرفة لأى من الأشخاص الأحياء. لذلك فهو أمر غير معقول، أو بالحرى أمر مضاد للتقوى أن يظن أحد أن الرب هو بدون معرفة لأى واحد، بل بالحرى فإننا سوف نقول إنه يقصد أن يتكلم عن أولئك الذين لم يدخلوا فى علاقة حميمة أو فى شركة معه. وكأنه يقول: " أنا لا أعرف أنكم كنتم محبين للفضيلة، ولا أنكم قد كرّمتم كلمتى ولا ارتبطتم بواسطة أعمال صالحة. ويتوافق مع هذا أنك ستفهم أيضًا ما قيل عن موسى الحكيم جدًا، حينما يقول له الله: " *إنى أعرفك أكثر من الجميع، وأنت قد وجدت نعمة فى عينى*" (خر ٣٣: ١٢س)، وهذا يعنى: " أنت أكثر من أى إنسان آخر قد صرت فى علاقة حميمة معى وقد حصلت عل نعمة كثيرة. وحينما نقول هذا ـــ فنحن لا ننزع عن كلمة "معرفة" المفهوم الخاص "بالتعرف"، بل ببساطة فإننا ننسب إليها (إلى كلمة المعرفة) معنىً مناسبًا أكثر ينسجم مع أفكارنا فى موضوع الحديث. وتبعًا لذلك، فحينما يقول: "*أعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى كما أن الآب يعرفنى وانا أعرف الآب*"، فهذا معادل لقوله: " إنى سوف أدخل فى علاقة حميمة مع خرافى، وخرافى سوف تأتى إلى علاقة حميمة معى، وهكذا إنى أنا أيضًا فى علاقة حميمة مع الآب". لأنه كما أن الله الآب يعرف ابنه الخاص الذى هو ثمرة جوهره بسبب أنه أباه حقًا، وهكذا أيضًا فإن الابن يعرف الآب كإله بالحقيقة إذ هو مولود منه. وبنفس الطريقة أيضًا **نحن الذين نأتى إلى علاقة حميمة معه، فإننا نُدعى ذريته، ويُقال عنا إننا أبناء، ويحسب ما قاله هو: "** ***ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم***

الله" (إش٨: ١٨). **ونحن نكون وأيضًا نُدعى من ذرية الابن بالحقيقة وبواسطته من ذرية الآب؛ لأن الوحيد الجنس لكونه إله من إله قد صار إنسانًا متخذًا طبيعتنا وهو منفصل عن كل خطية.** وإلاّ كيف نكون نحن " *ذرية الله*" (أع١٧: ٢٨)، وبأى طريقة نكون " *شركاء الطبيعة الإلهية*" (٢بط١: ٤). لأن افتخارنا الكامل ليس مجرد رغبة المسيح أن يقبلنا فى العلاقة الحميمة معه، بل إن هذا الافتخار يصير واقعًا فعلاً بتحقيق شركة الطبيعة الإلهية فينا. **لأن كلمة الله هو طبيعة إلهية حتى وهو فى الجسد، ونحن ذريته، رغم أنه هو بالطبيعة إله، وذلك بسبب اتخاذه نفس الجسد الذى لنا.** لذلك فإن هذه العلاقة الحميمة هى متماثلة؛ لأنه كما أنه هو متحد بالآب بكيفية حميمة وعن طريق تطابق طبيعتهما، فإن الآب هو فى علاقة حميمة معه؛ هكذا نحن أيضًا بالنسبة له وهو بالنسبة لنا، من حيث إنه قد صار إنسانًا. فإننا بواسطته نتحد بالآب كما عن طريق وسيط، لأن المسيح هو الذى يوحّد اللاهوت الفائق والناسوت كليهما معًا فى نفس الشخص، فهو يوحّد فى نفسه هاتين الطبيعتين المختلفتين جدًا. فهو من ناحية إذ هو بالطبيعة إله فهو واحد مع الله الآب، بينما من الناحية الأخرى إذ هو بالحقيقة إنسان فإنه متحد بالناس. ولكن ربما يسأل أحدهم قائلاً، ألاّ ترى أيها الرفيق المجازفة الخطرة التى يقود إليها تفكيرك هذا؟. لأنه بصيرورته إنسانًا سوف نظن إنه يعرف خاصته أى يصير فى علاقة حميمة مع خرافه، فمن الذى يبقى خارج الحظيرة؟ لأن الجميع سيكونون معًا فلا علاقة حميمة لأنهم بشر مثلما هو أيضًا إنسان، فلماذا إذن يستعمل كلمة "خاصتى"، وما هى العلاقة الخاصة التى

تميز الذين هم له بالحقيقة؟ لأنه إن كان الجميع هم فى علاقة حميمة للسبب الذى ذكرناه سابقًا، فما هو النفع الأكثر الذي سيجنيه أولئك الذين يعرفونه معرفة حميمة؟

نجيب على هذا فنقول، إن طريقة العلاقة الحميمة هى عامة للكل سواء لأولئك الذين عرفوه أو لأولئك الذين لم يعرفوه، لأنه صار إنسانًا دون أن يحابى بتفضيله البعض على الآخرين، ولكنه يشفق على طبيعتنا الساقطة بجملتها. ومع ذلك فإن العلاقة الحميمة لا تنفع شيئًا بالنسبة لأولئك المتكبرين فى عدم إيمان، بل بالحرى ستكون مكافأة متميزة لأولئك الذين يحبونه، لأنه كما أن التعليم عن القيامة يمتد لكل البشر بواسطة قيامة المخلص الذي يقيم طبيعة الإنسان بجملتها فى قيامته، إلاّ أنها (القيامة) لن تنفع أولئك الذين يحبون الخطية (لأنهم سينحدرون إلى الهاوية وينالون رجوعًا إلى الحياة فقط لكى يُعاقبوا كما يستحقون)؛ ولكنها (القيامة) ستكون ذات نفع عظيم لأولئك الذين عاشوا بطريقة الحياة الممتازة جدًا (لأنهم سوف ينالون القيامة ليشتركوا فى الخيرات التى تفوق كل إدراك).

وبنفس الطريقة فإنى أظن أن التعليم عن العلاقة الحميمة ينطبق على كل البشر، الأشرار والصالحين، ولكنه لا يعطى نفس الشئ للجميع، فبينما يعطى للذين يؤمنون به وسيلة للقرابة الحقيقية والبركات المترتبة عليها، فإنه من ناحية أخرى يكون للذين لا يؤمنون ازديادًا فى الجحود وعدم القداسة. هذا هو رأينا فى هذا الموضوع، ولكن على من يستطيع أن يفكر فى هذا الأمر بمعنى أكثر كمالاً فليقم بهذا العمل.

والآن ينبغى أن نلاحظ فى نفس الوقت مدى صدق ودقة لغة الكلام، لأن المسيح لا يعالج الأمور بطرق متناقضة ومتغيرة، بل يضع كل شئ فى مكانه الخاص والملائم جدًا. لأنه لم يقل " خاصتى تعرفنى وأنا أعرف خاصتى"، بل هو يضع نفسه أولاً، إذ هو يعرف خرافه الخاصة ثم بعد ذلك يقول إنه هو سيصير معروفًا منهم. وإن أُخِذت المعرفة بمعنى التعرف كما قلنا فى البداية فإنها تُفهم كما يلى: نحن لم نعرفه أولاً بل هو عرفنا أولاً. فبولس مثلاً حينما يكتب إلى الأمميين يقول شيئًا من هذا النوع كما يلى: "*لذلك أذكروا أنكم كنتم أنتم الأمم قبلاً فى الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختانًا مصنوعًا باليد فى الجسد، أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم وبلا إله فى العالم. ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح*" (أف٢: ١١ـــ١٣).

لأنه بسبب حنانه الذى لا يُستقصى قدم المسيح نفسه للأمم وعرفهم قبل أن يعرفوه. فإن كانت المعرفة تُفهم على أنها صداقة وعلاقة فإننا نقول أيضًا بالمثل: " **لسنا نحن الذين بدأنا هذه العلاقة بل ابن الله الوحيد**". لأننا نحن لم نمسك باللاهوت الذى هو فائق على طبيعتنا، بل هذا الذى هو بطبيعته الله، هو الذى أمسك بنسل إبراهيم كما يقول بولس (انظر عب٢: ١٦)، وصار إنسانًا لكى بكونه مثل اخوته فى كل شئ عدا الخطية، يمكن أن يقبل فى علاقة الصداقة معه ذلك الذى ليس له هذا الامتياز (الصداقة) من ذاته أى الإنسان. لذلك فمن الطبيعى أن يقول إنه عرفنا أولاً وبعد ذلك عرفناه نحن.

يو١٠:١٥ : " وأنا أضع نفسي عن الخراف".

لذلك، كان مستعدًا من أجل أولئك الذين هم أصدقاؤه وأقرباؤه أن يوفر لهم الحماية من كل جهة، وهو يعد بذلك حتى لو تعرّض للهلاك مبرهنًا بذلك أنه بالحقيقة الراعى الصالح. لأن البعض يتركون الخراف للذئاب وهم بذلك يعتبرون بؤساء وأجراء. ولكن حيث إنه عرف أنه ينبغى أن يجاهد من أجلهم بكل قوة، فهو لا ينفر حتى من الموت، ولهذا فهو يعتبر الراعى الصالح. وبقوله "*أنا أضع نفسى عن الخراف*"، لأنى أنا الراعى الصالح، فهو يوبخ الفريسيين ويجعلهم يدركون أنهم يومًا ما ربما سينصرفون هكذا باهتياج شديد ويصلوا إلى ذروة الجنون ضده، حتى أنهم يرسمون خطة لموت ذلك الذى لا يستحق الموت بأى حال بل بالحرى هو مستحق لكل مديح وإعجاب بسبب الأعمال التى عملها وأيضًا بسبب مهارته الممتازة فى تأدية واجبات الراعى.

ومع ذلك، ينبغى أن نلاحظ أن المسيح لم يحتمل الموت عنا ومن أجلنا بدون إرادته، بل نراه قد مضى إليه اختياريًا، رغم أنه كان يستطيع بسهولة شديدة أن يهرب من الألم لو أنه كان يريد أن لا يتألم. لذلك فإننا نرى فى ترحيبه بأن يتألم من أجلنا عظمة محبته من نحونا وعظم حنانه.

يو١٠:١٦: " ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضًا فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة لراعٍ واحد " .

بطرق متنوعة يوجه ضرباته إلى الفريسيين المخالفين للناموس، لأنهم سوف يُبعدَون عن رعاية الخراف، وهو نفسه سيحلّ مكانهم فى

قيادة الخراف ورعايتها. وهو يصرّح بأقوال كثيرة، ويلقى بإشارات بأنه يربط قطعان الأمم بقطيع إسرائيل. فإنه لن يحكم فقط قطيع اليهود بل سوف يمتد بنور مجده إلى كل الأرض ويدعو الأمم فى كل الأنحاء إلى معرفة الله. فهو لا يريد أن يكون معروفًا فى اليهودية فقط كما كان الحال فى الأزمنة السابقة (انظر مز٧٦: ١)، بل بالحرى فى كل بلد تحت السماء يعطى الحقائق التى تقود إلى التمتع بمعرفة الله الحقيقية. ويمكن لأى إنسان أن يتعلم بكل سهولة أن المسيح أُقيم مرشدًا للأمم لأجل التقوى. إذ أن الكتاب المُوحى به مملوء بشهادات عن هذا الأمر. وربما لا يكون من الخطأ أن نعبر عليها تاركين إياها لاجتهاد محبى الدراسة للبحث عنها. ولكنى مع ذلك سوف اقتبس جملتين أو ثلاثة من الأنبياء بخصوص هذا الأمر قبل أن انتقل إلى ما يليه.

فالله الآب يقول فى موضع ما عن المسيح: " *هاأنا قد أقمتك شاهدًا للأمم رئيسًا وموصيًا للشعوب* " (إش٥٥: ٤). لأن المسيح شهد للشعوب مُعطيًا إياهم تعليمًا للخلاص ومُخبرًا إياهم بكل صراحة عن الأمور التى ينبغى أن يخلصوا بواسطتها. والمرتل الإلهى وكأنه يدعو الذين فى كل الأطراف إلى صحبة واحدة مفرحة، وداعيًا كل الذين تحت السماء أن يجتمعوا إلى عيد سماوى قائلاً: " *يا جميع الأمم صفقوا بالأيادى اهتفوا لله بصوت الابتهاج* " (مز٤٦: ١س). ولكن ربما يبدو حسنًا لأى شخص أن يسأل عن سبب هذا التسبيح المجيد والنبيل، وسوف يجده مُعبّرًا عنه بوضوح: " *الله هو ملك الأرض كلها. رتلوا بفهم فإن الرب مَلَكَ على جميع الأمم* " (مز٤٦: ٧و٨س).

وفى موضع ما أيضًا يقدم الرب نفسه معلنًا بكلماته الخاصة الكرازة الإنجيلية لجميع الأمم معًا، لأنه يقول فى المزمور الثامن والأربعين: " *اسمعوا هذا يا جميع الشعوب، اصغوا يا جميع سكان الدنيا عالٍ ودون أغنياء وفقراء سواء، فمي يتكلم بالحكمة ولهج قلبى فهم*" (مز٤٩: ١ــ٣). لأنه من يمكنه أن يذكر أى شئ أكثر حكمة من كلمات الإنجيل، واى شئ يكون مملوءً من الفهم الخفى مثل التعليم الآتى من المسيح. لذلك لكى نرجع بشرحنا إلى ما بدأنا به فإنه يخبرنا بوضوح أن جموع الأمم سوف تتحد فى رعية واحة مع المطيعين فى إسرائيل. ولكن قد يسأل أحد الذين يبحثون بعناية فى معنى هذه العبارة ويقول: " لأى سبب يعلن المخلّص أسرارًا حينما يخاطب رؤساء اليهود ويتحدث إلى أناس اشتعلت قلوبهم بالكراهية والحسد. فلماذا يُعرّف مثل هؤلاء الناس أنه سوف يملك على الأمم وأنه سوف يجمع فى حظائره خرافًا من خارج حدود اليهودية". فماذا سوف نقول إذًا ردًا على هذا السؤال وكيف نشرحه؟

هو لم يعلن أسرارًا لهؤلاء الناس كما لأصدقاء، كما أنه لا يعتبر شرح هذه الأمور بلا نفع لهم. ومن جهة أخرى، هو يتكلم هكذا لأنه عرف أن هذا سينفعهم مثل أى أمر آخر يمكن أن يفعله، لأن هذا كان هدفه، رغم أن ذهن سامعيه، إذ كان عنيدًا وغير مستسلم للطاعة، ظل صلبًا. ولأنه كان يعرف أنهم عرفوا كتب موسى وإعلانات الأنبياء القديسين، وأنه توجد فى الأنبياء تصريحات كثيرة ومتعددة أن المسيح سيحوّل الأمم إلى معرفة الله، لذلك فإنه وضع هذا الأمر أمامهم كعلامة ظاهرة للغاية، بأنه هو الشخص الذى سبق الإعلان عنه

بوضوح. لقد أعلن جهارًا أنه سوف يدعو تلك الخراف التى لم تكن من الحظيرة اليهودية، لكى يؤمنوا به، أنه هو الشخص الذى سبق وأنبأت عنه جماعة القديسين.

يو١٠: ١٧: " لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضًا " .

أحيانًا كثيرة هو يجيب ليس فقط على الكلمات التى قيلت فى حينها باللسان، بل على الأفكار التى فى عمق القلب؛ فلكونه هو الله حقًا، فإن له معرفة واضحة بكل الأشياء. ولذلك فحينما سخر اليهود الأشرار بكلماته، وخاصة لأنه وعد أن يكافح لأجل خرافه الخاصة لدرجة أنه بغيرة شديدة كان مستعدًا حتى أن يموت لأجلها، وهم يظنون أنه الآن يتكلم بحماقة واعتبروه مجنونًا. لذلك فهو الآن يفضح بقوة أولئك الساخرين، وبسبب جهلهم وأيضًا بسبب عدم تقواهم غير المحدود، فإنهم يكونون مذنبين بالكلام وبأعمال الإهانة لذاك الذى يعترف به الله الآب الآن أنه جدير بكرامة عظيمة.

فهو يقول: " *لهذا يحبنى الآب* " أى لهذا الأمر نفسه، الذى بسبب عدم فهمكم الفظيع أنتم تحتقروننى بشدة. ألستم إذن متعجرفين وممتلئين بشر عظيم حينما تقولون إن هذا أمر يستحق السخرية وهو الأمر المقبول تمامًا والمرضى عند الله؟ وهو أيضًا يعطيهم أن يفهموا من هذه الكلمات أنهم ممقوتون جدًا من الله. لأنه إن كان الله يحب ذاك الذى يضع نفسه عن خراف الحظيرة التى فى رعايته، فيلزم أن نفترض طبعًا أنه يمقت ذاك الذى يرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف للوحش النهم ويهرب؛ وهذا ما وبخ المسيح عليه أولئك الذين كانوا يرأسون الشعب أى رعية اليهود. لذلك فهو فى نفس الوقت يوبخهم

على أنهم ممقوتون من الله وأيضًا على أنهم أشرار، لأنهم لم يخجلوا من أن يسخروا من ذاك الذى كرّمه الله بكرامة فائقة جدًا. وإضافة إلى ذلك يعلن المسيح أن الله الآب يحبه ليس فقط لأنه يضع نفسه بل بسبب أنه يضعها لكى يأخذها أيضًا، لأنه فى هذه النقطة خاصة تظهر عظمة الفوائد التى صنعها لأجلنا واضحة جدًا. فلو أنه مات فقط ولم يقم ثانية، فما هى الفائدة؟ وكيف يظهر أنه قد أفاد طبيعتنا لو أنه ظل بيننا ميتًا تحت رباطات الموت وخاضعًا للفساد الناتج عنه بنفس الطريقة التى تحدث للآخرين؟ ولكن حيث إنه **" وضع نفسه لكى يأخذها أيضًا"، فهو بهذه الطريقة خلّص طبيعتنا بصورة كاملة إذ أبطل سلطان الموت وهو سوف يظهرنا كخليقة جديدة.**

فالابن إذن، محبوب من الله الآب، وليس كأنه كان سيبقى بدون هذا الحب لو أنه لم يتمم عمله هذا من أجلنا، لأنه كان دائمًا محبوبًا فى كل الأوقات، فالخصائص الموجودة طبيعيًا فى أى شئ أو التى يملكها هذا الشئ، تظهر بشكل واضحٍ جدًا فى اى وقت حينما تُعرض بقوة خاصة. فالنار مثلاً، لها بالطبيعة فى ذاتها حرارتها الخاصة ولكن حينما تُسلّط على قطع من الخشب، عندئذٍ نعرف بنوع خاص أى شدة وأى قوة توجد فيها وبالمثل، فالإنسان الذى الذى حصل على معرفة فى قواعد اللغة أو فى اى علم آخر مماثل لن يكون موضع إعجاب بسبب هذه المعرفة لو أنه بقى صامتًا، ولكن حينما يُظهِر أمام الآخرين المعرفة الممتازة التى يمتلكها حينئذٍ بالحرى يُعجبون به. لذلك فبنفس الكيفية فإن الطبيعة الإلهية التى تفوق الوصف، حينما تُظهِر بقوة أى خاصية من خصائصها الذاتية أو أى صفة من صفاتها

الطبيعية ففى هذا الوقت أيضًا، تصير ظاهرة بذاتها بكل وضوح، وهكذا تصير مرئية بواسطتنا.

فالحكمة يقول فى كتاب الأمثال: " *أنا الذى كنت به يفرح، وكنت كل يوم مبتهجًا دائمًا قدامه حينما كان يبتهج بأنه أكمل العالم، وحينما كان يفرح بأبناء الناس*" رغم أن الفرح هو دائمًا يختص بالله وبهجته هى بلا نهاية. وبالتأكيد لا يوجد شئ مهما كان يحزن ذاك الذى له السلطان على الكلّ؛ وهو يفرح بحكمته الخاصة عند إكمال العالم. لأنه حينما يرى قوة حكمته ظاهرة فى عمله، عندئذٍ بنوع خاص فإنه يفكر أنه يجب أن يفرح كثيرًا جدًا. لذلك فبهذه الطريقة نفهم ما قيل (فى هذه الآية). فلأن الله الآب هو محبة بحسب لغة يوحنا، وليس فقط صالحًا بل بالحرى هو الصلاح ذاته. فحينما رأى ابنه يضع نفسه لأجلنا بمحبته من نحونا، وبصلاحه الفائق يحفظ سمات طبيعته الخاصة غير متغيرة، لذلك فمن المنطق أن يحبه؛ وهو لا يفيض حبه عليه كنوع من المكافأة عن الأمور التى فعلها لأجلنا، بل كما قلنا إذ رأى فى ابنه ما هو بحسب جوهره حقًا، أو ينجذب لمحبته كما لو كان بدوافع طبيعية لا تُقاوم. لذلك فكما يحدث بيننا نحن، فإن رأى الإنسان صورة هيئته الخاصة متمثلة بدقة فى طفله، فهو ينجذب بقوة المحبة كلما نظر إليه. وأظن بهذه الكيفية، يُقال إن الله الآب يحب ابنه الذى يضع حياته لأجلنا ويأخذها أيضًا، فلكونه يختار الألم فهذا هو عمل محبة، بل وأن يتألم باذلاً نفسه لأجل خلاص البشر، وليس أن يموت فقط بل أن يأخذ أيضًا حياته التى وضعها، لكى يبيد الموت وينزع الحزن الناتج عن التفكير فى الفناء. وإذ هو محبوب دائمًا

بسبب طبيعته، فيكون مفهومًا أنه محبوب أيضًا بسبب محبته لنا مسببًا فرحًا لقلب أبيه، حيث إن الآب في هذا الأمر عينه يستطيع أن يرى صورة طبيعته الخاصة مضيئة بغير عتامة وبغير غش.

الكتاب السابع
(حسب تقسيم القديس كيرلس)
(الإصحاح العاشر من عدد ١٨ ـ إلخ)

يو١٠:١٨ : " ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضًا " .

يعلّم الرب فى هذا الموضع أنه ليس فقط راعيًا صالحًا مخاطرًا لأجل قطيعه، بل أنه أيضًا بطبيعته الله. لذلك فهو لم يكن ليحتمل الموت لو لم يكن ذلك باختياره، إذ هو يملك السلطان اللائق بالله لتتميم هذا التدبير، الذى هو نافع جدًا لنا. ومضمون الحديث يعّرف اليهود هذا أيضًا، أنهم لن يستطيعوا السيطرة عليه لو لم يكن يريد ذلك. وهو لم يقل " لى سلطان" فقط عندما يقول " إنى أضع نفسى" بل استخدم هذا التعبير: " لى سلطان" فيما يخص الموت والقيامة معًا، لكى يظهر أن عمل القدرة والطاقة ليس خاصًا بشخص آخر غيره منح له هذا السلطان كخادم وعامل عنده، بل لكى يظهر أن قوته فى ممارسة السلطان حتى على رباطات الموت هى ثمرة طبيعته الخاصة، وأنه يستطيع بسهولة أن يعدّل طبائع الأشياء بأية طريقة يريدها، وهذه هى إحدى خصائص ذلك الذى هو بالطبيعة الله. هذا إذن ما يريد أن يبينه بقوله: "*لى سلطان أن أضع نفسى، ولى سلطان أن آخذها أيضًا*": لأنه لم يأخذ أمرًا كعبد أو خادم، كما أنه لم يكن نتيجة اضطرار، أو إجبار من آخرين، بل باختياره جاء ليفعل هذا.

يو١٠:١٨: " هذه الوصية قبلتها من أبى".

ولئلا يقول أحد إن الآب لا يستطيع أن يأخذ حياة الابن ضد

إرادته، وبذلك يُدخل النزاع والاختلاف في الألوهية الواحدة التي للآب والابن، فالرب بهذه الكلمات التي يقولها *"قبلت وصية"*، يبيّن أن الآب أيضًا موافق وراضٍ عن هذا، ويوضح أنهما يتممان هذا الأمر برأي واحد رغم أنه هو مشورة الآب. وهذه المشورة متناغمة أيضًا مع تدبير تجسده. وبقوله إنه قَبِلَ ما يبدو صوابًا في عيني أبيه ــ قَبِله كوصية ــ فإذ هو بالطبيعة الله لا يجعل نفسه بهذا القول أقل من الآب، بل يشير إلى ما يناسب إشتراكه في طبيعة البشر. وهو يذكرنا بأنه هو نفسه النبي الذي قال عنه الآب: " *سوف يتكلم بحسب ما أوصيه*" (تث١٨:١٨س)، متحدثًا عن المشورة المشتركة للآب والابن معًا، كما قُبِلت كوصية. والرب يتكلم بهذا لليهود لئلا يظنوا إنه يقول أشياء مضادة لوصايا الآب. **وإن كان الآب قد دعا ابنه الذي له نفس جوهره، نبيًا فلا تضطرب، لأنه حينما صار إنسانًا، فعندئذٍ صار لقب النبي مناسبًا له. وعندئذٍ أيضًا يمكن أن نقول إن الوصايا أُعطيت له من الآب تدبيريًا** (أي بما يناسب طبيعته البشرية). **ولكن ذلك الذي يقبل وصايا لا يكون لهذا السبب غير مماثل في الجوهر أو الطبيعة لذلك الذي يعطي الوصايا، إذ أن البشر يعطون وصايا للبشر أمثالهم، والملائكة للملائكة، ونحن لا نقول في هذه الحالة أن الذين أُعطيت لهم الوصايا مختلفون في الطبيعة ولا هم أقل. وعلى ذلك فالابن ليس أقل من الآب رغم أنه صار إنسانًا لكي يصير نموذجًا لكل فضيلة لأجلنا. وبهذا أيضًا فهو يعلّمنا أنه ينبغي أن نطيع والدينا في كل شئ، رغم أننا مساوون لهم من جهة طبيعتنا.** وفي بعض المواضع حينما يقول الآب: "سأوصي" فالمعنى هو "سأعامل بما يناسب"، وذلك عندما يقول: *"سأوصي بالشر على كل المسكونة وعلى المنافقين* بسبب

خطاياهم" (إش١٣:١١س). وفضلاً عن ذلك، فأحيانًا يتكلم الابن متنازلاً لمساعدتنا حتى يمكن أن ندرك معانى الأقوال الفائقة بقدر ما هو مُستطاع. ومع ذلك فإن قوله "*قبلت وصية*" لا يجعل ذاك الذى هو بالطبيعة إله أن لا يكون إلهًا. لذلك إما أن تقول إنه هو الله وتنسب إليه كل ما يليق بالألوهية، أو تقول بوضوح إنه مخلوق، لأن حقيقة قبول وصية لا تجرد أى شخص من الخصائص التى له طبيعيًا. ولكن حيث إن الابن يتكلم بكل ما يوصيه الاب ويقول "*أنا والآب واحد*"، فأنت مضطر أن تقول إما أن الآب أوصى الابن أن يخبر بالحق أو أن يتكلم كذبًا، لأن ما أخذه الابن كوصية لكى يتكلم به، هو يتكلم به إذ هو يقول: "*الآب الذى أرسلنى أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم*" (يو١٢:٤٩). **ورغم أنه قال أيضًا أبى أعظم منى، فهذا ليس ضدًا لما قبله. لأنه إذ هو بالطبيعة إله فهو مساوٍ للآب، ولكن من جهة أنهُ صار إنسانًا ووضع نفسه فهو يتكلم بكلمات تناسب إنسانيته تدبيريًا.**

ومع ذلك، فبما أن الوصية لا صلة لها بجوهر الابن فهذا لا يجعلها سببًا للاعتراض على جوهره. فالابن لا يأخذ كيانه من الآب بقبوله وصية من الآب، ولا يمكن جعل الوصية هى التى تحدد جوهره. لذلك فالابن إذ هو مشورة الآب وحكمته، فهو يعرف ما يقرره بطريقة مناسبة، فإذا قبل ما قرره كوصية، فلا تتعجب. فهو يستخدم كلامًا بشريًا عاديًا لكى يشير به إلى أشياء تفوق التعبير ولا يُنطق بها. والأمور لا نستطيع نحن أن نعبّر عنها، ينزل هو بها إلى كيفية التعبير العادية السائدة بيننا حتى يمكننا أن نفهمها. وعلى ذلك

فلا نلوم ما يبدو أنه تناقض في هذا الأمر، بل نلوم ضعف الكلمات التي لا تستطيع أن تصل إلى مستوى التعبير الكامل والتفسير الدقيق للأمور كما ينبغي.

يو١٠: ١٩-٢١ : " فحدث أيضًا إنشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام. فقال كثيرون منهم به شيطان وهو يهذى. لماذا تستمعون له. آخرون قالوا ليس هذا كلام مَن به شيطان. ألعل شيطانا يقدر أن يفتح أعين العميان " .

إن كلمات المخلص تنفذ إلى قلوب سامعيه، ومن تجدهم أكثر ليونة فإنها تشكّلهم حالاً وتحولهم إلى حالة صالحة؛ أما القلوب التى تجدها قاسية فإنها ترتد عنها أو بطريقة ما تتحول بعيدًا عنها. وهكذا، فذلك الذى له ذهن مستعد للتفكير الحسن، فهذا يقبل كلمات المخلص بفرح، أما الذى ليس كذلك فلن يقبل. شئ من هذا النوع هو الذى حدث مع شعب اليهود، لأنهم حينما سمعوا كلمات المخلص فإنهم انقسموا إلى فرقيتن. فأولئك الذين لهم إحساس مرهف أكثر يميلون الآن نحو بداية الخلاص؛ أما قساة القلب فيصيرون أردأ مما كانوا أولاً. ويبدو أن الإنجيلى كاتب الوحى قد أصيب بالدهشة من شعب اليهود كيف أنهم انقسموا بسبب هذا الكلام. فإنى أظن أنه واضح جدًا من قوله: "*فحدث انشقاق بسبب هذا الكلام*"، أنه قال هذا بسبب تعجبه من قسوة أولئك الذين لم يؤمنوا، ويبدو أنه يقصد بهذه العبارة أنه كان ينبغى على اليهود أن يقتنعوا تمامًا ان يسوع هو المسيح. لقد كانت كلمات المخلص مُدهشة جدًا، ومع ذلك فحتى حينما قيلت هذه الكلمات التى يمكن أن يتوقع منها أن تؤثر حتى على القساة جدًا وتجذبهم إلى الاقتناع، إلاّ أنه قد حدث انشقاق بينهم، لذلك فهو يتعجب كثيرًا أنهم

اندفعوا بطريقة شريرة نحو إزدراء لا خجل فيه لكل ما هو واضح. فإنى افترض أنه من العدل أن يوجه إليهم اللوم بنفس النسبة التى تستحق بها كلمات مخلصنا الإعجاب. فهو بالتأكيد تكلم بكلمات إلهية تعلو على الإنسان؛ وعظمة كلماته الإلهية القوية الفائقة للبشرية تقابلها الجموع بحماقة مفرطة. وحيث إن الذين كانت تمتلكهم الأرواح الشريرة اعتادوا أن يتكلموا بالشر بسهولة، لأنهم يستثارون بسرعة نحو الغضب ويبتعدون عن كل فهم، وحيث إنهم ظنوا أن الرب كان مجرد إنسان غير مدركين أنه هو بالطبيعة إله، لهذه الأسباب قالوا إن به شيطانًا، مجدفين بإفراط.

ولأنهم سمعوه يتكلم بمثل هذه الأمور التى يليق أن يقولها الله وحده، وإذ نظروا إليه كواحد مثلنا ولم يكونوا يعرفون بعد من هو بالطبيعة، لذلك اعتبروا أنه يتكلم رديئًا فى الوقت الذى كان يتكلم كلامًا إلهيًا. ومن أجل ذلك فهو أيضًا كثيرًا ما يستعمل طريقتنا فى الحديث وذلك بما يناسب تجسده (تدبيريًا) وتنازله، بسبب ضعف سامعيه. وهكذا، فإن شعب اليهود انقسموا فيما بينهم. فالبعض إذ كانوا لا يفهمون شيئًا بالمرة عن الأسرار المختصة به، كانوا متغطرسين بطريقة رديئة، ولكن الآخرين الذين كانوا أكثر تعقلاً فى طريقة تفكيرهم لم يحكموا عليه بتهور، بل فكروا فى كلماته وامتحنوها بعناية وبدأوا يشعرون بحلاوتها. وبهذه الطريقة وصلوا إلى تمييز يستحق المدح الكثير، ولم ينسبوا هذه الكلمات الرزينة جدًا والمملوءة بأعلا حكمة إلى هذيان شيطانى. لأن من عادة الشياطين، حينما يسيطرون على عقول البشر، أن يتكلموا بما هو خارج (عن

العقل). لذلك، فالفريسيون كانوا مثل أناس بهم شياطين وهم الذين أطلقوا هذا الوصف على ذلك الذى هو حر من كل هوى شيطانى؛ ولم يلاحظوا أنهم كانوا يعلنون عن المرض الذى كان موجودًا فيهم هم أنفسهم، ولم يفعلوا أكثر من أنهم كشفوا بحماقتهم الشر ذاته الذى كان متملكًا عليهم. ومن جهتي فإنى أظن أنهم يتكلمون بأعلى درجة من الخبث الشرير حينما يقولون إن الرب به شيطان. فلأنه اتهمهم بكونهم رعاة تعساء وأجراء قد سلموا خرافهم للذئب ولم يعطوا أية عناية لقطيعهم، بل كانوا منزعجين لئلا يفهم الناس ما قيل، فيرفضون رعايتهم لهم بعد ذلك، ويتبعون التعليم الذى يعطيه المسيح؛ ولهذا السبب فإنهم يحاولون أن يخدعوا عامة الناس بقولهم عن المسيح: "*به شيطان، فلماذا تسمعون له*"؟ ولكن هذه الكلمات أيضًا التى نطق بها هؤلاء الرجال الذين تحدثوا بمكر شرير، أتت بنتيجة عكس ما كانوا يقصدون. أما "آخرون"، إذ حكموا بحسب نوعية الكلام، يميزون ويدركون أن كلمات الرب هى بلا لوم، ولا يمكن أن تكون كلمات شخص به شيطان: وإضافة إلى ذلك، كما يقول أحدهم، فإن المعجزات تقدم أيضًا شهادة لا يمكن مقاومتها. فرغم أنكم تنتقدون كلماته على أنها ليست بلا لوم، إلاّ أنه من المستحيل أن الشخص الذى به شيطان يستطيع فى نفس الوقت أن يعمل أعمالاً لا يستطيع أحد أن يعملها إلاّ الله. لذلك، فالقضاة العادلون يعرفونه من أعماله وأيضًا من إعجابهم بالكلمات التى تكلم بها.

يو١٠: ٢٢، ٢٣ : " وكان عيد التجديد فى أورشليم وكان شتاء. وكان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان " .

ولكن الرب لم يكن يحضر فى الأعياد كمن يشارك فى الاحتفال بالعيد، فكيف يفعل ذلك وهو الذى قال: " *بغضت، رفضت أعيادكم*" (عا٥: ٢١س)، إلاّ أنه يأتى (إلى العيد) لكى يتكلم بكلماته النافعة جدًا فى حضور أناس كثيرين، مظهرًا نفسه علانية لليهود، ولكى يختلط معهم دون أن يبحثوا عنه. وينبغى أن نفترض أن عيد التجديد هنا يشير إلى العيد الأول تذكارًا لما عمله سليمان حينما أكمل (الهيكل) أو تذكارًا لما عمله زربابل، بعد ذلك، مع يوشيا، حينما بنى الهيكل بعد العودة من بابل. ولأنه كان شتاء والطقس مطير فى ذلك الوقت، لذلك فمن المحتمل أن كل الشعب دخل إلى الرواق. ولذلك ذهب المسيح أيضًا إلى هناك، لكى يعرّف نفسه لكل الذين يريدون أن يروه ويوزع عليهم البركات. لأن أولئك الذين رأوه تحركوا ليسألوه بعض الأسئلة، لأن الناس فى الأعياد يكونون أكثر حماسًا لمثل هذه المناقشات من الأوقات الأخرى.

يو١٠: ٢٤ : " فاحتاط به اليهود وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرًا " .

الحسد الذى ملأهم، ينزع منهم كل اهتمام بأن يعرفوا ما يمكن أن يقود إلى الإيمان، ولكن عظمة الأعمال التى عملها اضطرتهم إلى الإعجاب به، ومع ذلك فإنهم يجدون صعوبة فى كلماته ويقولون إن غموض تعليمه يمنعهم من أن يتمكنوا من معرفة ما ينبغى أن يتعلموه. وتبعًا لذلك فهم يسألونه أن يتكلم بوضوح أكثر، رغم أنهم

كانوا قد سمعوه كثيرًا وحصلوا على وفرة من التعليم حول هذه النقطة. والمسيح أظهر فى تعليمه العلنى تصريحات عديدة عن الأسماء ذات الكرامة التى تخصه بالطبيعة. فمرة يقول: "*أنا هو نور العالم*" وفى مرات أخرى: "*أنا هو القيامة والحياة*"، "*أنا هو الطريق*"، "*أنا هو الباب*"، و"*أنا هو الراعى الصالح*". وبالتأكيد فإنه بهذه الأسماء التى يعطيها لنفسه، فإنه يشير إلى أنه هو المسيح، ولكن الكتاب لا يقصد بمثل أسماء الكرامة هذه أن يظهره أنه المسيح، رغم أن اليهود كانوا يريدونه أن يدعو نفسه بوضوح بذلك اللقب. ومع ذلك، ربما كان أمرًا باطلاً ولا يُقْبَل بسهولة أن يُقال بكلمات بسيطة: "أنا هو المسيح"، إن لم تتبع هذه الكلمات أعمال تبرهن عليها، والتى بواسطتها كان من المعقول أن يؤمنوا أنه هو المسيح. ولا شك أنه من الأفضل جدًا أن يُعترف به أنه المسيح ليس من الكلمات التى قالها بل من الخصائص التى هى له بالطبيعة، إذ أن الكتب الإلهية تتنبأ وتعلن بواسطة هذه الخصائص أنه سيصير معروفًا بشكل ظاهر. وهذه الأمور التى لم يفهمها اليهود بسبب صغر نفوسهم، لذلك قالوا: "*إلى متى تعلّق أنفسنا؟*" لأنه من المعتاد بالنسبة للذين يحتقرون الآخرين أن يتكلموا هكذا.

يو١٠:٢٥: " أجابهم يسوع إنى قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التى أعملها باسم أبى هى تشهد لى " .

والمسيح نفسه اعتبر أنه أمر غير لازم أن يكرر نفس الكلام لأولئك الذين كانوا قد سمعوه قبل ذلك ولم يقتنعوا به. لأن طبيعة كل واحد ينبغى أن تُقيّم من نوع أعماله، وينبغى أن لا ننظر بأى حال

إلى كلماته فقط. وهو نفسه يقول إنه يتمم أعماله باسم أبيه، وهو لا يستمد قوته من فوق بالطريقة التى تحدث مع أى قديس، ولا يقول عن نفسه إنه محتاج إلى قوة، إذ هو الإله من الإله، وهو من نفس الجوهر مع الآب، وهو قوة الآب؛ ولكنه إذ هو ينسب قوة أعماله إلى المجد الإلهى، فإنه يقول إنه يعمل أعماله باسم أبيه، وهو أيضًا يعطى الكرامة للآب، لكى لا يسمح لليهود بأن يجدوا حجة للهجوم عليه: وإضافة إلى ذلك، فهو أيضًا فكّر أنه من المناسب ألاّ يتجاوز حدود " صورة العبد"، رغم أنه هو الله وهو الرب. وبقوله إنه يعمل أعماله باسم أبيه فهو يعلّم بأن اليهود جدفوا حينما قالوا إنه طرد الشياطين بواسطة بعلزبول (انظر لو١١:١٥). وحيث إن الآب يعمل الأعمال العجيبة، ليس بسبب كونه آبًا، بل بسبب أنه إله بطبيعته، هكذا الابن فهو ليس بسبب كونه ابنًا، بل كإله من إله، يستطيع هو نفسه أن يعمل أعمال الآب: لذلك قال تدبيريًا إنه يعمل أعماله باسم أبيه.

يو١٠:٢٦، ٢٧، ٢٨ : " ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافى كما قلت لكم. خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى".

الاستعداد الطيب للطاعة هو العلامة التى تميز خراف المسيح، كما أن العصيان هو علامة أولئك الذين ليسوا من خاصته. لأننا نفهم لفظة " تسمع" بأنها تساوى لفظة "تطيع"، وهكذا فالذين يسمعون الله هم معروفون عنده. وكلمة "معروفون" تعنى الذين دخلوا فى علاقة حميمة، لأنه لا يوجد من هو غير معروف عند الله. لذلك فحينما يقول " *أنا أعرف خاصتى*" فكأنه يقول هكذا: " إنى سوف أقبلهم وآتى بهم إلى علاقة حميمة سرية وأكيدة. ربما يقول أحد إنه إذ قد صار إنسانًا

فقد أتى بكل البشر إلى علاقة حميمة بكونه من نفس الجنس حتى إننا جميعًا نتحد بالمسيح في علاقة سرية طالما أنه قد صار إنسانًا: أما الذين هم مبتعدون عنه فهؤلاء هم الذين لا يحتفظون بمماثلة صورة قداسته. وهكذا، فبهذه الطريقة، فإن اليهود متحدون من جهة الجنس مع إبراهيم المؤمن، ولكن بسبب عدم إيمانهم فإنهم يُحرمون من تلك القرابة معه لعدم تشبههم به. وهو يقول (الرب) " *وخرافي تتبعني*"؛ لأن هؤلاء الذين ــ بنعمة معينة معطاة من الله ــ يطيعون ويقتفون آثار المسيح، لا يعودون يخدمون ظلال الناموس، بل يطيعون وصايا المسيح ويوقرون كلماته، وبواسطة النعمة سوف يرتفعون إلى اسمه المكرّم و"*يدعون أبناء الله*" (انظر مت٥:٩). لأنه حينما يصعد المسيح إلى السموات فهم أيضًا يتبعونه، وهو يقول إنه يعطي لمن يتبعه ــ كمكافأة ومجازاة ــ حياة أبدية وإعفاء من الموت أو الفساد ومن العذابات التي ستأتي من الدّيان على المتعدّين. وكونه يعطي حياته، فهو يبيّن أنه هو "الحياة" بطبيعته وأنه يهب هذه الحياة من نفسه لا كمن ينالها من آخر، ونحن نفهم بعبارة "الحياة الأبدية" ليس طول الأيام التي تكون للصالحين والأشرار بعد القيامة بل أيضًا أن تكون هذه الحياة في غبطة.

ومن الممكن أيضًا أن نفهم بكلمة الحياة، البركة السرية التي بواسطتها يغرس المسيح فينا حياته الخاصة من خلال اشتراك المؤمنين في جسده الخاص بحسب المكتوب: " *من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية*" (يو ٦ : ٥٤).

يو١٠:٢٩، ٣٠ : " أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكلّ ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى. أنا والآب واحد".

والمؤمنون أيضًا لهم عون المسيح وليس للشيطان قدرة على اختطافهم. والذين لهم تمتع بالصالحات بلا نهاية يظلون فى هذا التمتع ولا يستطيع أحد أن يخطفهم بعيدًا عن الغبطة المعطاة لهم إلى العقاب أو العذابات. لأنه من المستحيل أن الذين هم فى يد المسيح يُخطفون لكى يعاقبوا وذلك بسبب قدرة المسيح العظيمة؛ لأن لفظة "اليد" فى الكتاب الإلهى تشير إلى القدرة. ولذلك فليس هناك شك فى أن يد المسيح لا تُقهر وهى مقتدرة فى فعل كل الأشياء. ولكنه حين رأى اليهود يهزأون به معتبرينه مجرد إنسان وغير مقتنعين أن ذاك الذى هو من جهة النظر واللمس كان إنسانًا، هو الله بالطبيعة. فهو لكى يقنعهم أنه هو قوة الآب، يقول: "*ليس أحد يخطفها من يد أبى*"، أى منى. لأنه يقول إنه هو نفسه يمين الآب الكلية القدرة إذ أن الآب يتمم بواسطته كل الأشياء، كما أننا نحن نصنع جميع الأشياء التى نعملها بواسطة يدنا. ففى مواضع كثيرة من الكتاب يُسمّى المسيح "يد الآب" و"يمين الآب"، وهو ما يعنى القوة، وطاقة الله وقدرته الصانعة لكل شئ تُسمّى ببساطة "يد". وبالطبع فإن التعبير اللغوى المُستعمل عن الله هو أعلى من أن تحويه الأمثلة الجسدية، وأيضًا يُقال إن الآب يعطى للابن، ليس كما يعطى لمن هو غير مالك للخليقة تحت يده، بل كما يعطى لذاك الذى هو الحياة بطبيعته، إذ يأتى بنا نحن المحتاجين للحياة إلى الابن لكى نصير أحياء بواسطة ذلك الذى هو بطبيعته الحياة، وله الحياة من ذاته. وأيضًا لأنه صار إنسانًا، فمن المناسب أن يطلب وأن يأخذ من الآب الأمور التى هى له بسبب كونه الله

بطبيعته. لأن المسيح بعد أن ذكر ما يختص بناسوته؛ يعود إلى (الحديث عن) ما يليق بكرامته الإلهية، موضحًا مزايا طبيعته لأجل فائدة المؤمنين، ولأجل الإيمان الصحيح، فلا ينبغي أن يشك أحد بالمرة ويظن أن الابن أقل من الآب، لأنه هكذا يتبين أنه هو صورة الآب غير المشوهة حافظًا في ذاته رسم الاب كاملاً وصحيحًا. **ونحن نقول إن الآب والابن هما واحد غير مازجين فرديتهما باستعمال العدد واحد، كما يفعل بعض الذين يقولون إن الآب والابن هما نفس الشخص، بل نؤمن أن الآب هو قائم بذاته والابن قائم بذاته موحدين الاثنين في نفس الجوهر، وعارفين أيضًا أن لهما قدرة واحدة، حتى أن هذه القدرة ترى بدون اختلاف في الواحد كما في الآخر. وبكلمة "واحد" يشير إلى وحدة الجوهر، وبكلمة "نحن" يشير إلى اثنين، ثم بعد ذلك يوحدهما معًا في لاهوت واحد.**

ولكن هذا هو ما ينبغي أن يُفهم، بعكس ما فهمه الآريوسيون من القول: " *أنا والآب واحد*"، فهذا لا يعني أنه برهان على وحدة المشيئة[1] بل على وحدة جوهرهما. لأن اليهود فهموا بهذا القول أنه تكلم عن نفسه أنه الله وأنه مساوٍ للآب، والمسيح لم ينكر أنه قد قال هذا كما فهموا هم.

يو١٠: ٣١، ٣٢ : " فتناول اليهود حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني".

واليهود إذ لم يمسكوا أنفسهم عنه حينما قال: " *إنه واحد* مع

[1] كما يفهمها الآريوسيون إن وحدة الابن مع الآب في المشيئة وليست في الجوهر.

الآب"، فإنهم اندفعوا لكي يقتلوه رغم أن كل عمل من أعماله التي أجراها تعلن أنه هو بالطبيعة إله. وهذا لم يحدث الآن فقط بل في مناسبات أخرى حينما أخذوا حجارة لكي يقتلوه، فإنهم وقفوا بلا حراك بقوة المسيح: حتى أنه صار ظاهرًا من هذا أيضًا أنه لن يعاني أي ألم إلاّ بإرادته. وايضًا فالمسيح في لطفه كبح اندفاعهم غير المعقول ليس بأن قال لهم: " بسبب أي كلمة قلتها أنتم غاضبون"؟، بل بقوله: "*أم بسبب أي عمل عملته*"؟. ويقول، لو لم اكن عملت أعمالاً إلهية كثيرة تبين إني بطبيعتي إله، فربما كان من المعقول أن تغضبوا مني الآن عند سماعكم إياي وأنا أقول: "*أنا والآب واحد*". ولكني ما كنت لأقول هذا لو لم أكن قد أظهرته بواسطة كل الأعمال التي صنعتها. وهو يتحدث عن الأعمال على أنها من الآب وليست من عنده مُظهرًا هذا التواضع لأجل منفعتنا لكي لا نتباهى حينما ننال أي شئ من الله. وهو يقول إن الأعمال التي أراها لهم هي من الآب، لا ليشير بأن القوة التي ظهرت في هذه الأعمال هي قوة أخرى غير قوته بل لكي يظهر أنها كانت أعمال الألوهية التي ندركها على أنها واحدة في الآب والابن والروح القدس. لأن كل ما يفعله الآب فهذا يتممه بالابن في الروح، وايضًا ما يعمله الابن فهذا يعمله الآب في الروح. لهذا أيضًا يقول المسيح: "*لا أعمل من نفسي شيئًا، بل الآب الحالّ فيّ هو الذي يعمل الأعمال*" (انظر يو٨:٢٨، ويو١٤:١٠).

يو١٠:٣٣ : " أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا".

وإذ كان لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة فقد صاروا

غاضبين حينما سمعوا المسيح يقول: "*أنا والآب معًا واحد*". فما الذى كان يمنع أن يكون واحدًا مع الآب، لو أنهم آمنوا إنه إله بالطبيعة؟ لذلك أيضًا فهم يحاولون أن يرجموه ويدافعون عن أنفسهم مقدمين السبب الذى به يبررون فعلهم هذا، فيقولون: نحن نرجمك ليس لأجل أعمال حسنة فعلتها بل بسبب أنك تجدف. وبالعكس فهم الذين كانوا يجدفون لأنهم أرادوا أن يرجموا من هو بالحقيقة الله، غير مدركين أن يسوع جاء ليس فى صورة الألوهة غير المحتجبة بل جاء متجسدًا من نسل داود ولذلك يصفون اعترافه الحقيقي بأنه تجديف جاهلين من هو الذى يقول هذا بسبب أنهم ينظرون إلى الجسد فقط.

يو ١٠:٣٤ : " أنا قلت إنكم آلهة ".

حيث إن الآب دعا بعض البشر آلهة، فإن هذا الاسم المكرّم أعطى له بالضرورة كشئ من الخارج مضافًا إليهم، لأن الذى هو إله بالطبيعة هو واحد فقط. **ولئلا يعتبر أحد أن يسوع نفسه هو واحد من هؤلاء الناس، فيعتبرونه مكسيًا بمجد الألوهية، بمعنى أن الألوهية ليست تخصه جوهريًا** بل كأنها شئ من الخارج أُضيفت إلى ذاته، فكيف يكون هو شئ آخر سوى أنه الله بالطبيعة، وهو الذى سكب مجانًا بهاء مجده على الآخرين؟

والآن إذ هو يوبخ اليهود لأنهم كانوا يريدون رجمه ليس بسبب قوله "*أنا والآب معًا واحد*"، بل يفعلون هذا بلا سبب؛ فهو يقول: " إن كنت بسبب قولى إنى إله، أبدو (فى نظركم) أنى أجدف؛ فلماذا، حينما قال الآب بواسطة الناموس لبعض الناس "*أنتم آلهة*"، لم تحكموا بأن هذا هو تجديف؟. وهو يقول هذا، لا كأنه يحرضهم لكى يقولوا شيئًا

ما ضد الآب، بل يوبخهم لكونهم يجهلون الناموس والكتب الموحى بها. وإذ يرى أن الفرق بين الذين دُعوا آلهة وبين الذى هو بطبيعته الله، هو فرق عظيم جدًا، فهو يعلّمنا التمييز بين الاثنين بواسطة الكلمات التى يستخدمها؛ لأنه إن كان الناس الذين أُرسلت إليهم كلمة الله، دُعوا آلهة، وقد صاروا لامعين بكرامة الألوهية، بنوالهم وإدخالهم كلمة الله إلى داخل نفسهم، فكيف لا يكون هو بالطبيعة إله ذلك الذى بواسطته صار هؤلاء آلهة؟. لأن الكلمة كان الله بحسب قول يوحنا، والكلمة أيضًا هو الذى سكب هذا البهاء (بهاء المجد) على الآخرين. فإن كان كلمة الله يقود إلى نعمة فوق بشرية بالروح القدس، ويزين أولئك الذين يكون فيهم، بكرامة إلهية، ويقول، " لماذا تقولون إنى أجدف حينما أدعو نفسى ابن الله والله؟ رغم أن الأعمال التى قد عملتها من الآب تشهد لى إنى إله بالطبيعة. فإذ قدسنى (الآب)، أرسلنى إلى العالم لأكون مخلص العالم؛ وذلك الذى هو وحده إله بالطبيعة، هو الذى له الخاصية التى يستطيع بها أن يخلّص الناس من الشيطان ومن الخطية ومن الفساد.

ولكن ربما حينما يقول الكتاب الإلهى إن الابن أُرسل من ألاب، ففى الحال يعتبر الهرطوقى هذا التعبير سندًا لضلاله، وغالبًا سيقول: " أنتم ترفضون أن تتحدثوا عن أن الابن أقل من الآب، ألاّ ترون أنه أُرسل منه كما ممن هو أعلا وأعظم منه؟. فماذا سنقول إذن؟ بالتأكيد إن القول بأنه أُرسل، هو ملائم بنوع خاص لقياس إخلائه لذاته؛ لأنك تسمع أن بولس إذ يوحّد الاثنين معًا، يقول إن الابن أُرسِلَ من الآب حينما صار من امرأة تحت الناموس كإنسان بيننا (انظر غلا٤:٤)،

رغم كونه هو الرب ومعطى الناموس. وإن كان الابن يُدرك أنه جُعِلَ في صورة عبد، فعندئذٍ يُقال إنه أُرسِلَ من الآب. ولا يحدث هنا أى ضرر من جهة كونه من نفس الجوهر معه ومساوٍ له في المجد ولا ينقص عنه من أية ناحية بالمرة. لأن التعبيرات التى نستخدمها بيننا، إن طبقناها على الله، فهى لا تسمح بأن تُفحص بالمعنى الحرفى للكلمة؛ وأنا أقول إنه ينبغى أن لا نفهمها بالضبط كما تُفهم عادة فيما بيننا، بل بمقدار ما تكون ملائمة لذات الطبيعة الإلهية الفائقة. لأنه ما الذى كان يمكن أن يحدث، لو لم يمتلك اللسان الكلمات القادرة التى تكفى لتوضيح المجد الإلهى؟ وتبعًا لذلك فمن السخافة أن يُقال إن المُجد الفائق الذى هو أعلا من الكل ينجرح بسبب ضعف اللسان البشرى وعجزه عن التعبير. تذكر ما قاله سليمان: " *مجد الرب إخفاء الأمر*" (أم٢٥: ٢). لأنه حينما ننهك أنفسنا في محاولة التعبير بدقة عن مجد الرب، فإننا نكون مثل أولئك الذين يريدون أن يقيسوا السماوات بشبر. لذلك حينما يُقال أى شئ عن الله بكلمات تُستعمل عادة من الناس، فينبغى أن تُفهم بطريقة مناسبة لله. وإلاّ فماذا ستفعل حينما تسمع داود يرتل فى مزموره قائلاً:

" *يا جالسًا على الكاروبيم أشرق.. أيقظ جبروتك وهلم لخلاصنا*" (مز ٨٠: ٣). لأنه كيف يجلس من لا جسد له . وكيف ينادى إله الكون لكى يأتى لخلاصنا، الإله الذى يقول بواسطة الأنبياء: " *أمّا أملأ أنا السماء والأرض*" (إر٢٣: ٢٤). فمن أين ينبغى أن يأتى لأجلنا وهو يملأ كل الأشياء؟ وأيضًا مكتوب أن البعض كانوا يبنون برجًا ليصل إلى السماء: " *ونزل الرب ليرى المدينة والبرج. وقال الرب، هلم*

ننزل ونبلبل ألسنتهم" (تك١١: ٥ـ٧). فأين نزل الرب؟ أو بأية طريقة يحث الثالوث القدوس، نفسه، على النزول؟ وأخبرنى كيف وعد المخلّص نفسه أيضًا أن يرسل المعزى من السماء؟ لأنه إلى اين أو من أين أرسل ذاك الذى يملأ كل الأشياء؟ "*لأن روح الرب يملأ المسكونة*" كما هو مكتوب (حكمة١: ٧).

لذلك فالتعبيرات التى تُستخدم بطريقة عادية عن أنفسنا تشير إلى أمور أعلا منا، إذا قيلت عن الله. أتريد أن تفهم أى أمر من تلك الأمور التى تصعب على الفهم؟ عندئذٍ فإن عقلك سيعجز عن أن يدركها، وهل ستعرف أنت أن الأمر هو هكذا؟. أيها الإنسان، لا تُستثار إلى الغضب بل اعترف بضعف طبيعتك وتذكر ذاك الذى قال: "*لا تبحث عما يتجاوز قدرتك*" (ابن سيراخ٣: ٢١). فحينما توجه عينك الجسدية إلى قرص الشمس، فأنت فى الحال تحولها ثانية لأنك تُغلب من التدفق المفاجئ للنور. لذلك، عليك أن تعرف أيضًا أن الطبيعة الإلهية "*تسكن فى نور لا يُدنى منه*" (انظر ١تى٦: ١٦)؛ "*لا يُدنى منه*" أى لا تستطيع عقول أولئك الذين يتفحصون فيها بشدة أن تقترب منها. لذلك حينما يُعبّر عن الأمور التى تخص الله باللغة العادية المُستعملة عن الناس، فلا ينبغى أن نفكر فى أى شئ وضيع، بل أن نتذكر أن غنى المجد الإلهى يُصور خلال فقر التعبير البشرى. لأنه ما (المشكلة) إن كان الابن يُرسل من الآب؟ هل سيصير عندئذٍ أقل لهذا السبب؟ ولكن حينما يُرسل النور من جسم الشمس فهل هو من طبيعة مختلفة عنها وأقل منها؟ أليس من الحماقة، مجرد أن تفترض مثل هذا الأمر للحظة واحدة؟ لذلك، فالابن إذ هو نور الآب،

يُرسل إلينا، مثلما نقول، كما من شمس تشع بأشعتها، وهو ما طلبه داود أيضًا ان يحدث قائلاً: "*أرسل نورك وحقك*" (مز٤٣: ٣).

فإن كان النور الذى للآب هو مجد له فكيف ندعو ذاك (النور) الذى فيه يتمجد (الآب)، أنه أقل منه (من الآب)؟ والابن نفسه أيضًا يقول عن نفسه: "*الذى قدَّسه الآب وأرسله*" (يو١٠: ٣٦). والآن فإن كلمة "قدّس" تُستعمل بمعانى كثيرة. لأنه يُقال عن أى شئ يُكرّس لله أنه "يُقدس". فمثلاً قال لموسى: "*قدِّس لى كل بكر*" (خر١٣: ٢). وأيضًا تُستعمل كلمة "يقدس" عن ما يعده الله لأجل تنفيذ خططه، لأنه يتكلم هكذا بخصوص كورش والماديين حينما قرر أنهم ينبغى أن يصنعوا حربًا ضد مدينة البابليين: "*جاء الأبطال ليتمموا غضبى وهم فرحون ومفتخرون؛ لقد صاروا مقدسين وأنا أقودهم*" (إش١٣: ٣س). وأيضًا فإن الذى يشترك فى الروح القدس فإنه يتقدس، لذلك فالابن نفسه يقول إن الآب يقدسه، إذ أن الآب أعده لأجل إعادة الحياة للعالم، ولأجل إبادة أولئك الذين يقاومونه، أو أكثر من ذلك حيث إنه أُرسل لكي يُذبح لأجل خلاص العالم؛ إذن فتلك الأشياء التي تُدعى مقدسة فهى التى تفرز كتقدمة لله. **ونقول إنه (المسيح) قد تقدس حينما صار جسدًا، مثلما نتقدس نحن البشر: لأن جسده تقدس باتحاده بالكلمة رغم أن الطبيعة البشرية نفسها ليست مقدسة؛ ولأنه تجسد فإن الآب يقدسه، لأن ألوهة الآب والابن والروح القدس واحدة.**

يو١٠: ٣٧، ٣٨: " إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه".

وما يقوله هو ما يأتى:

رغم أنه من السهل على أى إنسان أن يدعو الله أبًا، ولكن أن يؤكد هذه الحقيقة بواسطة الأعمال فهذا أمر صعب ومستحيل على أى مخلوق. وهكذا فالرب يقول إن الأعمال الإلهية تظهر أننى مساوٍ لله الآب: ولا توجد لديكم حجة لعدم إيمانكم ما دمتم قد عرفتم إننى مساوٍ للآب ببرهان الأعمال الإلهية التى أعملها، رغم أنه من جهة الجسد أبدو إنى واحد منكم مثل إنسان عادى. وهكذا فمن الممكن أن تدركوا أنى فى الآب والآب فىّ (انظر يو١٤: ١٠). **لأن وحدة الجوهر تجعل الآب يُرى فى الابن والابن يُرى فى الآب. وحتى فى حالتنا فإن جوهر الوالد يُعرف فى المولود منه وأيضًا جوهر الطفل يُعرف فى والده، لأن نوع الطبيعة واحد فى الجميع، وجميعهم واحد بالطبيعة.** ولكن حينما نميز أنفسنا الواحد عن الآخر عن طريق أجسادنا، فالكثيرون لا يكونون واحدًا؛ ومثل هذا التمييز بين الأجساد لا يمكن الحديث عنه فيما يخص ذلك الذى هو إله بالطبيعة، لأن ما هو إلهى لا جسد له، **رغم أننا ندرك الثالوث القدوس على أنه قائم فى أقانيم متميزة. لأن الاب هو الآب وليس هو الابن؛ وأيضًا الابن هو الابن وليس هو الآب؛ والروح القدس هو الروح (وليس هو الآب أو الابن). ومع ذلك فلا يوجد بينهم أى اختلاف بل هم فى شركة ووحدة الواحد مع الآخر.**

وبما أنه ليس هناك سوى ألوهية واحدة فى الآب والابن والروح القدس، لذلك نقول إن الآب يُرى فى الابن والابن يُرى فى الآب.

ومن الضرورى أن نعرف هذه النقطة الأخرى أيضًا أن ما يجعل الابن يقول: " *أنا فى الاب والآب فىّ*" (يو١٤: ١٠)، وأيضًا: " *أنا والآب معًا واحد*" (يو١٠: ٣٠) ليس فقط لأن الابن يرغب نفس الأمور كالآب، وليس فقط لأنه يملك إرادة واحدة معه؛ **بل ما يجعله هكذا هو أنه المولود الأصيل لجوهر الآب. فهو يُظهر الآب فى نفسه وهو نفسه يُرى فى الآب. فهو يقول إنه يريد، ويتكلم، ويملك نفس فاعلية الآب، وبسهولة ينجز ما يريد مثلما يفعل الآب، وهكذا يُعترف به من كل ناحية أنه من نفس الجوهر مع الآب، وهو ثمرة حقيقية لجوهره**، ووحدته مع الآب ليست مجرد وحدة نسبية معه تظهر فى تماثل الإرادة والتزامات المحبة؛ تلك الوحدة النسبية التي نقول إنها تختص بمخلوقاته.

يو١٠: ٤٠، ٤١، ٤٢: " ومضى أيضًا إلى عبر الأردن إلى المكان الذى كان يوحنا يعمّد فيه أولاً ومكث هناك. فأتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة. ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقًا. فآمن كثيرون به هناك".

ترك المخلص أورشليم باحثًا عن موضع توجد به ينابيع مياه. وهذا يشير بطريقة غامضة كما فى مثال، إلى أنه سوف يترك اليهودية ويمضى إلى كنيسة الأمم التى فيها ينابيع المعمودية المقدسة، وهناك أيضًا أتى إليه كثيرون عابرين الأردن، وهذا ما يشير إليه مكوث المسيح فى عبر الأردن. ولذلك إذ قد عبروا الأردن بواسطة المعمودية المقدسة يتم إدخالهم إلى الله. لأنه حقًا عبر (المسيح) من مجمع اليهود إلى الأمم وعندئذٍ أتى إليه كثيرون وآمنوا بالكلام الذى تنبأ به القديسون عنه. لقد آمنوا به هناك حيث توجد ينابيع المياه،

وحيث نتعلم سر المسيح. فالمسيح لم يكن موجودًا فى الينابيع التى عند الأردن بل فى مكان ما بعد " عبور الأردن"؛ وجاء و"مكث" هناك، أى مقيمًا هناك على الدوام فى كنيسة الأمم. ونحن لا نكرّم يوحنا (المعمدان) بسبب أنه قام بأى عمل إلهى، بل لأنه شهد بالحق عن المسيح. لأن المسيح أكثر عجبًا ، ليس فقط من يوحنا، بل أكثر من أى قديس؛ فبينما كانوا هم أنبياء كان هو الإله الصانع العجائب. وينبغى أن نلاحظ أن كلمات يوحنا والأنبياء الآخرين هى طريق يقودنا لكى نؤمن بالمسيح.

كتابات الآباء التى صدرت

يُطلب هذا الكتاب من :

✝ المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٢٤١٤٠٢٣

✝ بيت التكريس ت : ٤٨٣٦٣٨٩ .

✝ ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم .

سعر النسخة : ٤,٥٠ جنيه